دين الله.. ودين البشر

(٨)

معاوية بن أبي سفيان في الميزان

دراسة علمية تبين آثار معاوية الخطيرة على الدين

د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

يتصور البعض أننا عندما نتحدث عن معاوية نتحدث عن شخصية تاريخية، لا علاقة لها بالواقع، ولا بالدين.. وأن أمرها في الأخير يعود إلى الآخرة التي سنكتشف فيها جلية الأمر وحقيقته.

وهذا وهم كبير، فنحن لا يعنينا أن يكون معاوية مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا، فما أكثر المؤمنين وما أكثر الكفار وما أكثر المنافقين.. ولا يعنينا أن يكون من أهل الجنة أو من أهل النار.. فالله هو رب الجنة والنار.. ولا يضرنا إن دخل في إحداهما أو لم يدخل.

لكن الذي يعنينا هو آثار معاوية في الدين الذي نعتقده ونعيشه.. لأن معاوية كان في ذلك الصدر الذي أسس فيه للعقائد والفقه والسلوك.. وفيه فسر القرآن..وفيه نقل الحديث.. وفيه أسست نظم الإسلام السياسية

دين الله .. ودين البشر

(8)

معاوية بن أبي سفيان في الميزان

دراسة علمية حول معاوية بن أبي سفيان وآثاره الخطيرة على الأمة

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1436 – 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة السلسلة

بما أن العقل السلفي ـ كما أشرنا إلى ذلك في سلسلة [الدين والدجل] ـ مؤسس على الرجال، والتسليم لهم، وأخذ الدين عنهم.. فإنه لا مناص لنا للتعرف على أسباب الدجل الذي اتسم به هذه المنهج أن نتتبع الجذور التاريخية المؤسسة له، والتي عبر عنها أعلامه وأئمته الكبار.

وذلك يستدعي بالضرورة التحقيق في حياتهم ومنجزاتهم وآثارهم على الواقع الإسلامي.. ويستدعي أيضا وضعهم في موازين التعديل والتجريح، مثلما نراهم يفعلون مع مخالفيهم.. والذين وضعوهم جميعا في موازينهم.. ثم حكموا عليهم بالبدعة .. وحكموا عليهم بعدها بالضلالة.. وحكموا عليهم بعد ذلك كله بالنار.

وبناء على هذا، فسنقوم في هذه السلسلة [أئمة السلفية في الميزان] بنفس ما قاموا به.. لكنا لا نجرؤ أن نضع أحدا في النار.. لأن للنار ربها وخالقها، وهو أعرف بأهلها.. ولهذا نكتفي ببيان التحريفات والتضليلات التي وقع فيها هؤلاء الأئمة من غير أن نتدخل لا في نياتهم ومقاصدهم، ولا في إيمانهم وكفرهم.. ولا في نهايتهم ومصيرهم.. لأن ذلك كله لا يجدينا.. فنحن نبحث عن علل الدجل وجذوره، ولا يعنينا هل غفر الله لمن وقع منهم ذلك، أم لم يغفر.. فالغفران بيد الله.. ونحن عبيد الله، ولا نجرؤ أن نحكم على أحد بما لم يعلمنا الله به.

والهدف الذي ترمي إليه هذه السلسلة ليس مشروعا فقط، بل هو واجب أيضا، وأدلة وجوبه هي نفس الأدلة التي يعتمدها التيار السلفي عندما يبيح لنفسه أن يقوم بوضع كل أعلام الأمة في موازينه التي لا تحوي إلا كفة واحدة هي كفة التجريح.

وحتى نخاطبهم بلغتهم وأسلوبهم في التفكير، فسنقتبس مقولة أحدهم في وجوب قيام سوق الجرح والتعديل في هذا

الزمـان، فقـد أورد قولـه ﷺ: (يحمل هـذا العلم من كـل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)[1]

ثم عقب عليه بقوله: (هذا الحديث أصل من أصـول المنهج العلمي الإسـلامي ، وقاعـدة من أجل قواعـده ، وأس من أبين أسسه ؛ ذلكم أنه يـــــــبين مهمة لا تنقطع ، ووظيفة لا تنفد ، ومسؤولية جسيمة ملقاة على كواهل عدول الأمة : من العلمـاء والأئمة .. هـذه الوظيفـة وهـذه المهمـة مبنيـة على مـا ورد في الحديث (ينفون عنه تحريف الغـالين وانتحـال المبطلين وتأويـل الجاهلين)[2]

ثم راح ـ ليقرر ما يريد ـ يتساءل: (كيـف للمسـلم أن يمـيز بين المبطـل والمحـق ؟ وكيـف لـه أن يتمـيز لـه المـدعي من صاحب الحق ؟ وكيف له أن يدري على وجـه السـداد والتمـام : الجاهل من العالم)

ثم أجاب على ذلك بقوله: (لن يكون له قدرة على مـا هـو أدنى من ذلك - فضلا عن الوقوف على حقيقة ذلـك - إلا ضـمن قواعـد علم الجـرح والتعـديل .. هـذا العلم الـذي بـدأت بواكـير قواعـده تُبـنى وتؤسـس في عصـر أصـحاب رسـول اللـه ﷺ ثم تبلورت ، وازدهرت ، وتقعـدت في عصـر الفتنـة ، كمـا ورد عن بعض التـابعين (لم يكونـوا يسـألون عن الإسـناد ؛ فلمـا وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السـنة فيؤخـذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البـدع فلا يؤخـذ حـديثهم)، وكلمـة ابن المبارك– في ذلك – عالية غالية (لولا الإسناد لقال من شاء مـا شاء)

ثم بين أن هذا العلم لم ينته بعصر الرواية، وإنما هـو ممتـد لكـل زمـان، فقـال: (وهـذا العلم يحمله الخـالف عن السـالف ،

1() ابن عدي (2/79) ، البيهقي (10/209) ، ابن عبد البر في التمهيد (1/59)

2() الجرح والتعديل -أصول وضوابط- ، للشيخ علي الحلبي.

ويتلقاه الطلاب عن الشيوخ ، ويأخذه الأبناء عن الآباء، ويتناوله الأحفاذ عن الأجداد : دائرة متاكلمة الأطراف ، ومنهجا متنامي الحقائق ؛ حتى يكتمل في هذه الأمة دورها ، وينتشر نورها . وليس – فقط – هذا العلم كما يتوهم المتوهمون هو علم فقط في الجيل الأول ، أو في العصر الأول ، أو أنه مقصور على كتب السنة، والحديث ، والأثر .. لا.. ولكنه ممتد – كما ورد في الحديث – (يحمل هذا العلم من كل خلف) أي من كل جيل ، فهذه إشارة إلى الاستمرار ، والعلو ، والوصول ، وليس إلى الانقطاع ، وليس إلى الانفصال ، وليس إلى البتر.. ورحم الله من قال : (لولا حملة المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر)

هذا نص من نصوص كثيرة نراها في الكتب والمواقع تدعو إلى إحياء فن الجرح والتعديل، أو الجرح والتجريح ليميز المستنون من المبتدعين، ودعاة الهداية من دعاة الضلالة.

وهو صواب من حيث المفاهيم، وإن لم يكن صوابا من حيث المصاديق، لأنهم راحوا إلى كل داعية هداية ووحدة .. وإلى كل حريص على الأمة.. يرمونه بما شاءت لهم أهواؤهم من أصناف التضليل والتبديع والتكفير.. بل والرمي في جهنم..

ونحن لا نجاريهم في كل ذلك.. ولذلك فإن الأعلام الذين سنتحدث عنهم في هذه السلسلة لا نزعم أنهم عارون من كل مكرمة، ولا خالون من كل منقبة.. بل نقر أن لهم مكارم ومناقب.. كما نقر ــ متأسفين ــ بأن لهم معايب ومثالب.. وعندما نحذر من عيوبهم ومثالبهم لا نحذر منها رغبة منا في نشر الفضائح.. وإنما نفعل ذلك لأجل بقاء الدين صافيا نقيا بعيدا عن الدجل، فالدين عندنا أهم من الرجال.

انطلاقا من هذا الهدف الذي نراه، تحاول هذه السلسلة التعرف على كبار أعلام السلفية وأئمتهم الذين كان لهم الأثر فيما انتهجوه من منهج، وتبنوه من أفكار.

وهي تبدأ من جذورهم الأولى من عصر الصحابة، فمن بعدهم إلى عصرنا الحاضر، وهي تعتمد الدراسات المرتبطة

بسيرهم الذاتية أولا، لتحقق فيها، وفي أسباب العلل وجذور الدجل التي تسربت إليها، ثم تبحث بعد ذلك في التراث الذي تركته، والآثار التي انجرت عنه.

ولذلك هي ليست مباحث تاريخية مجردة، وإنما هي مباحث تحقيقية همهما الأول كشف الدجل وأسبابه وعلله للتحذير منه، لا لفضح أصحابه.

ونعتذر لأصحاب الورع البارد، والعواطف الكاذبة لما قد يصدمهم من هذه السلسلة، لأن الحق أحق أن يتبع، وكشف الدجل أولى من رعاية المشاعر.. لأن في كشف الدجل تنقية للدين، حتى يميز دين الله عن دين البشر، وتميز الشريعة المقدسة عن الشريعة المدنسة.

مقدمة الكتاب

لا يذكر السلفية الصحابة إلا ويذكرون فيهم ومعهم معاوية بن أبي سفيان، حتى أن عوامهم من البسطاء يتصورون أنه من السابقين الأولين للإسلام.. ويتصورون أن حياته كلها كانت مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162]

أما خطباؤهم، فهم لا يذكرونه إلا ويشفعونه بالترضي، واعتباره خال المؤمنين، وكاتب وحي رسول الله ﷺ، وفاتح الفتوح، وأول ملك في الإسلام، وصاحب الحلم والذكاء والعبقرية.. وغيرها من الصفات التي جعلت العوام يحنون إليه أكثر من حنينهم للإمام علي، ويتقربون منه أكثر من تقربهم لآل بيت النبوة.. وكيف يفعلون ذلك، ومعاوية رمز عندهم للسنة، وأهل بيت النبوة رمز عندهم للرفض.

ولذلك لم يكتفوا باعتباره علما من أعلام الإسلام، ولا فردا من أفراد الصحابة، بل جعلوه ـ على الرغم من الجرائم الكثيرة التي فعلها بالسابقين من الصحابة ـ حامي حمى الصحابة، بل حامي حمى السنة نفسها.. ولهذا لا عجب إن اعتبرنا معاوية هو الإمام الأكبر للسلفية.. فهم يغضبون له أكثر مما يغضبون لغيره.

ولو أن أحدا من الناس نقل التهم التي وجهها ابن تيمية للإمام علي أو لفاطمة الزهراء أو لغيرهما من أهل بيت النبوة، ووجهها لمعاوية أو لابنه يزيد لقامت قيامة السلفية على من يفعل هذا، واتهم بما تعود السلفية أن يرموا به مخالفيهم من الرفض وما يتبعه من الألقاب.

بناء على هذا سنحاول أن نذكر في هذا الكتاب أهم الانحرافات التي استفادها السلفية من إمامهم الأول والأكبر معاوية بن أبي سفيان، والتي أشار إليها رسول الله ﷺ في

قوله: (أول من يبدل سـنتي رجـل من بـني أميـة) [1].. ونتبعهـا بذكر العوامل التي جعلت السلفية يتبنـون معاويـة ومنهج الفئـة الباغية.

[1] رواه ابن أبي شـيبة في المصـنف (35866)، وابن أبي عاصـم (63)، وأبـو نعيم في تـاريخ أصـبهان (1/132)، وابن عـدي في الكامـل (3/164)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (18/160)

أولا ـ تناقض موقف السلفية من الصحابة

ذكرنا في أجزاء كثيرة من هذه السلسلة ذلـك التنـاقض أو الخداع الذي يمارسه السلفية عند حديثهم عن الصـحابة.. فهم ـ عنـد التأمـل والبحث الجـاد والصـادق ــ من أكـبر أعـدائهم، لأن الصحابة الحقيقيين هم أولئك السابقون الـذين ضـحوا بأنفسـهم ومالهم في سبيل الله، وهؤلاء لا يعيرهم السلفية أي اهتمام..

فهم لا يكادون يذكرون بلالا، ولا الصخرة الـتي كـانت تجثم على صدره، وهو ينادي أحد أحد .. ولا أحد يعرف المصـير الـذي صار إليه، ولا الحياة التي عاشها بعد وفاة حبيبه رسول الله ﷺ..

ولا أحد منهم يذكر سمية تلك الـتي كـانت أول شـهيدة في الإسلام .. ولا أحـد يـذكر زوجهـا ياسـر الـذي كـان أول الرجـال استشهادا في سبيل اللـه .. ولا أحـد يـذكر ابنهمـا عمـارا .. لأن ذكره سيشوه الطلقـاء، وسـيقلب صـفحاتهم المنتنـة، وسـيبعث في جمــاهير المغفلين الســؤال عمن قتلــه، ولم قتلــه، وكيــف قتله؟ وكل ذلك سيحول الطلقاء ـ الذين غرم بهم السلفية ـ من صحابة أجلاء إلى ظلمة وطواغيت.

ولا أحد منهم يذكر لبينة جاريـة بـني المؤمـل المستضـعفة المعذبة، وقـد كـانت من السـابقين إلى الإسـلام، وأوذيت إيـذاء شديدا .. لأن في ذكرهم لها ولكيفية تعـذيبها إحراجـا كبـيرا لمن قدموهم بأهوائهم وأذواقهم ومعاييرهم البشرية القاصرة.

ولا أحد منهم يذكر أم عـبيس، الـتي كـانت قـريش ــ الـتي غـرمت بهـا السـلفية ــ تعـذبها عـذابا شـديدا هي وزوجهـا أبـو عبيس ..

ولا أحد منهم يذكر النهدية تلك الجارية اليمنية المستضعفة التي كانت من السـابقين إلى الإسـلام، فكـانت سـيدتها تعـذبها، وتقول: والله لا أقلعت عنك.. وهكذا كان حال ابنتها التي عـذبت معها، ولا نزال إلى الآن لا نعرف اسـمها ولا اسـم ابنتهـا، ولا أي

تفاصيل عنها في نفس الوقت الذي يعرف فيه السلفية أنساب الطلقاء، ويعتزون بها.

ولا أحد يذكر زنيرة تلك الجارية المستضعفة التي كانت يتداول المشركون على تعذيبها بكل صنوف العذاب الحسي والمعنوي، لأن في ذكرهم لها تشويها لقريش التي حولوها جميعا إلى صحابة أجلاء يتمتعون بكل أنواع الحصانة.

ولم يكتف السلفية بذلك التجاهل لأولئك السابقين الصادقين من الصحابة، بل ضموا إليه اعتبار كبارهم من الذين واجهوا بني أمية منافقين.. فمن الصحابة الذين حكم عليهم السلفية بالنفاق مع كونهم ممن شارك في غزوة بدر(1): معتب بن قشير الأنصاري: الذي هو بدري بالإجماع وهو عندهم منافق بالإجماع..

ومنهم مدلاج بن عمرو السلمي وهو بدري شهد صفين مع علي وتأخرت وفاته إلى عام 50 هـ، ورغم ذلك قال أبو حاتم عنه: (أعرابي مجهول وتواطئوا على ذكره في الضعفاء كأبي حاتم وابنه وابن الجوزي إلى عهد الذهبي فاستدركه عليهم ابن حجر في لسان الميزان في القرن التاسع!)

ومنهم ربيعة بن مسعود القارئ الذي قال فيه أبو حاتم: (أعرابي مجهول)! وذكره في الضعفاء ابن الجوزي والذهبي، وأهمله البخاري في تاريخه.. مع أنه بدري، و أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وشهد بدراً والمشاهد كلها وتوفي عام 30 هـ.

ومنهم خليدة بن قيس الأنصاري، وهو بدري، لكن مع ذلك قال عنه أبو حاتم الرازي: (خليدة بن قيس بن عثمان من بني نعمان بن سنان الأنصاري شهد بدرا سمعت أبي يقول ذلك وسمعته يقول هو مجهول)(2)

---

1) انظر بحثا في المسألة مهما جدا بعنوان [صحابة بدريون ولكنهم منافقون.... هكذا يقول السلفيون!] للشيخ حسن بن فرحان المالكي.

ومنهم حمزة بن الجمير من بني عبيد بن عـدي الأنصـاري، وهو بدري ومع إقرار أبي حاتم بذلك إلا أنه قـال فيـه: (سـمعت أبي يقول ذلك ويقول هو مجهول)، أي مجهول العدالة..

ومنهم أبو سفيان بن الحارث بن قيس، أخو نبتل، الأوسي، وهو بدري اتهموه بالنفاق..

وغـيرهم كثـير من الـذين اتهمـوهم بالنفـاق أو بالجهالـة، وراحوا يرمونهم بعدم الوثاقـة، في نفس الـوقت الـذي يكـذبون فيه على الناس بادعاء عدالة جميـع الصـحابة.. لكن مقصـودهم الأول في ذلك هو الفئة الباغية، ومن ساندها.

وهكذا نرى مواقفهم من الصحابة الذين شـهد لهم رسـول الله ﷺ بالصدق والإخلاص، ولكن بسبب كـونهم من المعارضـين للفئة الباغيـة نـرى التجاهـل السـلفي في حقهم، بـل الإعـراض عنهم، واتهام كل من يـذكرهم بـالرفض ومـا يتبعـه من الألقـاب والأوصاف.

ومنهم أولئك الشهداء المظلـومين المقتـولين ظلمـا بعـذراء من أرض دمشــق، فعن أبي الاســود، قـال: دخـل معاويـة على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجـر وأصـحابه؟ فقال: يا أم المؤمـنين، إني رأيت قتلهم صـلاحا للأمـة، وبقـاءهم فسادا للأمة، فقـالت: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (سـيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم، وأهل السماء)(1)

وعن سعيد بن أبي هلال أن معاوية حج فـدخل على عائشـة فقالت: يا معاوية قتلت حجر بن الأدبر وأصحابه؟ أما والله، لقـد بلغـني أنـه سـيقتل بعـذراء سـبعة نفـر يغضـب اللـه لهم وأهـل السماء(2).

2) الجرح والتعديل: 3/400.

1) رواه يعقوب بن سفيان وابن عساكر.

2) رواه ابن عساكر.

ومع قبول السلفية لهذا الحديث، ومع كونه يدل على غضب الله على من قتل أولئك الشهداء المظلومين إلا أنهم لم يغضبوا لـذلك، بـل راحـوا يـدافعون عن الطلقـاء، وجـرائمهم في حـق الصحابة وغيرهم..

ومنهم عمـرو بن الحمـق الـذي أخـبر رسـول اللـه ﷺ أن الطلقاء سيقتلونه، فعن رفاعة بن شداد البجلي أنه خرج مع عمرو بن الحمق حين طلبه معاويـة قـال: فقـال لي يـا فارعـة أن القـوم قـاتلي، إن رسـول اللـه ﷺ أخـبرني أن الجن والانس تشـترك في دمي، قال رفاعة: فما تم حديثـه حـتى رأيت أعنـة الخيـل فودعتـه وواثبتـه حيـة، فلسـعته وأدركـوه فـاحتزوا رأسـه، وكـان أول رأس أهدي في الاسلام(1).

وفي حـديث آخـر عنـه قـال: بعث رسـول اللـه ﷺ سـرية، فقالوا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، ولا لنـا زاد ولا طعـام، ولا علم لنا بالطريق، فقال: (إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب، ويدلكم على الطريـق، وهـو من أهل الجنة)، فلم يزل القـوم على جعـل يشـير بعضـهم الى بعض، وينظـرون الي فقلت: مـالكم يشـير بعضـكم الى بعض وتنظرون إلي، فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله ﷺ فإنا نعرف فيك نعت رسول اللـه ﷺ، فـأخبروني بمـا قـال لهم، فـأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق. ثم رجعت الى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ قال: (أدعو الى شـهادة أن لا الـه الا الله، وأني رسول الله واقام الصلاة، وايتاء الزكـاة، وحج الـبيت، وصوم رمضان)، فقلت: إذا أجبنـاك الى هـذا فنحن آمنـون على أهلنـا ودمائنـا وأموالنـا؟ قـال: (نعم)، فأسـلمت، ثم رجعت الى أهلي، فأعلمتهم باسلامي، فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثم هاجرت الى رسول الله ﷺ فبينا أنـا عنـده ذات يـوم فقـال: (يـا عمـرو، هـل لـك أن أريـك آيـة الجنـة، تأكـل الطعـام، وتشـرب الشراب وتمشـي في الاسـواق؟)، قلت: بلى، بـأبي أنت وأمي،

---

1) رواه ابن عساكر.

قال: (هذا وقومه)، وأشـار الى علي بن أبي طـالب، وقـال لي: (يا عمرو، هـل لـك أن أريـك آيـة النـار تأكـل الطعـام، وتشـرب الشراب، وتمشي في الاسـواق؟)، قلت: بلى، بـأبي أنت وأمي، قال: (هذا) وأشـار الى رجـل، فلمـا وقعت الفتنـة ذكـرت قـول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار الى آيـة الجنـة، ويـرى بـني أمية قاتلي بعد هذا، قلت: اللـه ورسـوله أعلم، قـال: واللـه، لـو كنت حجرا في جوف حجر لاستخرجني بنو أمية حـتى يقتلـوني، حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس تجز، ويحتز في الاسلام، وينقل من بلد الى بلد.

ومنهم قيس بن خرشة ومحاولـة هـؤلاء المجـرمين التعـرض له، وحماية الله له منهم، فعن محمد بن يزيـد بن أبي زيـاد الثقفي قال: إن قيس بن خرشة قدم على النبي ﷺ، قال: أبايعك على مـا جـاء من اللـه تعـالى وعلى أن أقـول بـالحق، فقـال النـبي ﷺ: (يـا قيس، عسى أن يمدك الـدهر، أن يلقـاك بعـدي من لا تسـتطيع أن تقول بالحق معهم)، قال قيس: والله لا أبايعك على شـئ إلا وفيت لك به، فقال النبي ﷺ: (إذا لا يضرك بشر)، وكان قيس يعيب زياد بن أبي سفيان، وابنه عبيد الله، فبلـغ ذلـك عبيـد اللـه، فأرسـل إليه فقـال: أنت الـذي تفـتري على اللـه تعـالى وعلى رسـوله؟ قـال: لا، ولكن إن شـئت أخبرتـك بمن يفـتري على اللـه وعلى رسوله؟ قـال: من ذاك؟ قـال: أنت وأبـوك الـذي أمركمـا، قـال قيس: وما الذي افتريت على الله ورسوله؟ فقال: (تزعم انه لا يضرك بشر!) قـال: نعم، قـال: (لتعلمن اليـوم أنـك قـد كـذبت، ائتوني بصاحب العذاب وبالعذاب)، قال: فمال قيس عنـد ذلـك، فمات(1).

ومنهم أهل الحرة، وفيهم صحابة أجلاء، يزعم السـلفية كـذبا أنهم موالون لهم، مع أنهم يقفون مع الـذين اسـتحلوا دمـاءهم، فعن أيوب بن بشير المعاوي أن رسول الله ﷺ خرج في سـفر،

1) رواه الطبراني والبيهقي.

فلما مر بحرة زهرة وقف، فاسترجع، فسألوه فقال: (يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي)(1)

وعن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً ﴾ (الأحزاب:14) قال: لأعطوها، يعني ادخال بني حارثة أهل الشام على المدينة(2).

وعن الحسن قال: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت منهم أحد(3).

وعن مالك بن أنس قال: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، وذلك في ملك يزيد.

وقد أخبر ﷺ عن هذه الحادثة، وعن بعض الأحداث التي ستحدث في المدينة المنورة بعده، فعن أبي ذرٍّ الغفاريِّ قال: ركب رسول الله ﷺ حماراً، وأردفني خلفه، وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديد، لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (تعفّف)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديدٌ، يكون البيت فيه بالعبد، (يعني: القبر) ــ كيف تصنع؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اصبر)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك)، قال: فإن لم أترك؟ قال: (فأت من أنت منهم فكن فيهم)، قال: فآخذ سلاحي؟ قال: (إذاً تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق

---

1) رواه البيهقي.

2) رواه البيهقي.

3) رواه البيهقي.

طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك)[1]

وقد قال ابن حجر مشيرا إلى هذه الوقعة عند ترجمته لمسرف بن عقبة ـ وهو صحابي ظالم من قواد يزيد بن معاوية ـ: (وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سموه مسرفا وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك والعسكر ينهبون ويقتلون ويفجرون، ثم رفع القتل وبايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية)[2]

وقال ابن كثير – الذي يثق فيه السلفية كما يثقون في ابن حجر-: (وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غضون ذلك ألف بكر والله أعلم)[3]

ونقل عن عبد الله بن وهب عن الإمام مالك قوله: (قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن، حسبت أنه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك في خلافة يزيد)[4]

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان المالكي على هذا النص بقوله: (هؤلاء الصحابة من قتلهم غير سلف الغلاة؟ ولماذا يتكتمون؟ .. كفار قريش لم يقتلوا من (الصحابة) ربع ما قتل سلفهم. مجموع ما قتلت قريش نحو (90 صحابياً فقط) ولكن بني أمية قتلوا فوق الألف على أقل حال.. أيضاً الشيعة والجهمية (والرافضة) وكل خصوم الغلاة لم يقتلوا من

---

1) رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان.

2) الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 232)

3) البداية والنهاية: 6/262.

4) البداية والنهاية: 6/262.

(الصحابة) صحابياً ، بينما سلف الغلاة من بني أمية حصدوا أهل بدر والرضوان، بينما سعيد بن المسيب يقول بأن بني أمية قتلوا من أدركوا من (أهل بدر والرضوان).. لو لو سلمنا لهم جدلاً... أن كل خصومهم من الشيعة والجهمية والإباضية يكفرون (كل الصحابة ويلعنونهم) فهل تكفير الصحابي ولعنه أشد أم قتله؟ ليجرب أحدكم نفسه، ولينظر: هل يسوؤه أكثر من يلعنه ويكفره.. أم من يقتله ويفجر بنسائه وبناته، كما فعل أحبابكم بنو أمية بالصحابة، اصحوا، ولماذا حقدكم على من يلعن (الصحابة) أكثر من حقدكم على من قتلوا الصحابة وفجروا بنسائهم، مع أن أحبابكم بني أمية جمعوا الأمرين معاً.. أريد تفسيراً واضحاً من الغلاة... حتى نرتب الحقد على قدر الذنب. لكنني لا أفهم منهم هذا الحب للقاتل واللاعن والفاجر،وهذا البغض للاعن فقط)(1)

والنص الذي يشير إليه الشيخ حسن بن فرحان هو ما ورد في صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبقِ من أصحاب الحديبية أحداً)(2)

وهكذا نرى موقف هؤلاء الطلقاء من الأنصار الذين يدعي السلفية تعظيمهم لهم، بينما هم يحتقرونهم أعظم احتقار حين يوالون أعداءهم، وقد حدث أسيد بن حضير وأنس أن رسول الله ﷺ قال للأنصار حين أفاء الله عليه أموال هوازن: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)(3)

وحدث أنس عن ذلك، فذكر أن رسول الله ﷺ قال للأنصار:

---

1) خلاصات أموية - الشيخ حسن فرحان المالكي.

2) صحيح البخاري: 4/1475.

3) رواه البخاري ومسلم واحمد والبيهقي والترمذي والنسائي.

(ستلقون بعدي أثرة في القسم والأمر، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1]

وقد حدث مقسم يذكر وقوع ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فذكر أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر حاجة له، فجفاه ولم يرفع به رأسا، فقال أبو أيوب: أما ان رسول الله ﷺ قد خبرنا أنه ستصيبنا بعده أثرة قال: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا إذا، فغضب أبو أيوب، وحلف أن لا يكلمه أبدا[2].

هذه أمثلة عن مواقف السلفية المتناقضة من الصحابة الذين يزعمون ــ زورا وبهتانا ــ أنهم يوالون في الحين الذين يشنون عليهم كل ألوان الحقد والكراهية في سبيل إرضاء الفئة الباغية.

1) رواه الحاكم وابو نعيم.

2) رواه الحاكم.

ثانيا ـ آثار معاوية على القراءة السلفية للإسلام

يتصور البعض أننا عندما نتحدث عن معاوية نتحدث عن شخصية تاريخية، لا علاقة لها بالواقع، ولا بالدين.. وأن أمرها في الأخير يعود إلى الآخرة التي سنكتشف فيها جلية الأمر وحقيقته.

وهذا وهم كبير، فنحن لا يعنينا أن يكون معاوية مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا، فما أكثر المؤمنين وما أكثر الكفار وما أكثر المنافقين.. ولا يعنينا أن يكون من أهل الجنة أو من أهل النار.. فالله هو رب الجنة والنار.. ولا يضرنا إن دخل في إحداهما أو لم يدخل.

لكن الذي يعنينا هو آثار معاوية في الدين الذي نعتقده ونعيشه.. لأن معاوية كان في ذلك الصدر الذي أسس فيه للعقائد والفقه والسلوك.. وفيه فسر القرآن..وفيه نقل الحديث.. وفيه أسست نظم الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ودعوتنا للبحث في أمره وآثاره في الدين هي نفس دعوتنا للمسيحيين في البحث في شأن بولس وتأثيره في المسيحية.. وهو نفس دعوتنا لكل أهل دين تعرض للتحريف، للبحث عن جذور التحريف ومصادره والتحقيق فيها، لأنه لا يمكن معرفة الحقيقة من دون ذلك.. ولا يمكن معرفة الحقيقة ونحن نضع الحصانة الدينية لكل المشكوك فيهم وفي آثارهم.

ولذلك فإن اهتمامنا به نابع من هذه الآثار.. فهل أثر معاوية في الفهم السلفي للدين بقيمه ونظمه ومعانيه.. أم أنه كان فردا عاديا بسيطا، جل ما في الأمر أنه كان عاشقا للسلطة، ثم تولاها كما تولاها سائر الملوك والسلاطين.. ولذلك فإن خطأه منحصر في ذلك، وفي تلك الفترة التاريخية التي تولاها.

سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة عبر إبراز آثار معاوية على الفهم السلفي للدين من خلال الجواب التالية.

1 ـ آثار معاوية على صورة الشخصية الإسلامية:

الشخصية الإسلامية الحقيقية هي التي تستلهم مبادئها النظرية والعملية من رسول الله ﷺ باعتباره المثلى الأعلى، والقدوة الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

ثم هي بعد ذلك ـ لتأكيد تلك المعاني وتقويتها ــ تستلهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين حسنت صحبتهم وتلمذتهم على رسول الله ﷺ، ومثلوه في جميع القيم التي جاء بها خير تمثيل، وماتوا على ذلك.

وهم الذين وردت في حقهم الآيات الكريمة تنوه بفضلهم، ومكانتهم، وقد وصفهم الإمام علي، فقال: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباهِهم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب) (1)

لكن السلفية، وباعتبارهم الطلقاء وغيرهم من الصحابة، شوهوا الشخصية الإسلامية تشويها عظيما، من أجل الحفاظ على سمعة من سموهم كذبا وزورا صحابة وتلاميذ لرسول الله ﷺ..

ولهذا نراهم لا يكتفون بالقول بنجاة معاوية، ولا بكونه فردا من أفراد الصحابة، بل راحوا يضمون إلى ذلك ما هو أخطر بكثير، وهو اعتباره سيدا وقدوة وصاحب شخصية قوية يمكن

(1) نهج البلاغة ج:1 ص:189 ـ 190.

للمؤمنين البسطاء أن يستبدلوا بها شخصية عمار وبلال وأبي ذر وقتادة وغيرهم من كبار الصحابة.. وكأن تلمذة معاوية القصيرة لرسول الله ﷺ فاقت تلمذة أولئك السابقين من المهاجرين والأنصار.

وهم يروون لتأكيد هذا عن ابن عمر قوله: ما رأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ كان أَسْوَدَ من معاوية، قال: قلت: هو كان أسود من أبي بكر؟ قال: هو - والله - أخير منه، وهو - والله - كان أسود من أبي بكر، قال: قلت: فهو كان أسود من عمر؟ قال: عمر - والله - كان أخير منه، وهو - والله - أسود من عمر، قال: قلت: هو كان أسود من عثمان؟ قال - والله - إن كان عثمان لسيدا، وهو كان أسود منه)(1)

ورروا عن قبيصة بن جابر الأسدي قوله: ألا أخبركم من صحبت؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أفقه فقهاً ولا أحسن مدارسة منه، ثم صحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت رجلاً أعطى للجزيل من غير مسألة منه ؛ ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً، ولا أشبه سريرة بعلانية منه)(2)

ورووا عنه قوله: (ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية)(3)

ولست أدري كيف صار معاوية بهذه الأخلاق العالية، والسيادة الرفيعة التي سبق فيها ـ حسب تصورهم ــ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو لم يتتلمذ يوما واحدا على رسول الله ﷺ.. بل كان من ألد أعدائه هو وأسرته جميعا منذ

---

1) سير أعلام النبلاء، 3/154.

2) تاريخ الطبري (5/ـ 337) وأورد هذا الخبر البخاري في التاريخ الكير (7 / 175).

3) البداية والنهاية (8 / 138).

صباه الباكر.

يقول الشيخ حسن بن فرحان معلقا على ذلك العشق والهيام الذي يقابل به السلفية شيخهم وإمامهم معاوية: (أعجب منهم أناس - يدعون أنهم يحبون النبي ﷺ - يمدحون أشخاصاً أفنوا أعمارهم في حرب رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحابته على مدى ثمانين عاما، فقد ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين، ورضع بغض النبي منذ الصبا، فأبوه أبو سفيان، وأمه هند بنت عتبة آكلة كبد حمزة، وعمته حمالة الحطب.. لقد كان معاوية - في أول العهد المكي - من أولئك الصبية الذين كانت قريش تسلطهم على أذية رسول الله، وشارك شبابهم في بقية العهد المكي، ثم اشترك مع أبيه في حرب النبي في تلك الحروب، وكان فيها مقتل أخيه حنظلة ببدر (قتله علي)، ومقتل جديه عتبة وشيبة وخاله الوليد.. ثم أسلم نفاقاً يوم فتح مكة.. واشترك في غزوة حنين منافقاً، فقد كان ممن اعتزل مع أبيه فوق تلّ وقال معه: (بطل السحر اليوم) ! ثم قام هو وأبوه يوم حنين بسرقة جمل لعجوز مسلمة، فاشتكتهما إلى النبي، فأنكرا وحلفا، فأخبر الوحي النبي ﷺ بالمكان الذي أخفيا فيه الجمل، فوبخهما وردّ الجمل على العجوز وتألفهما على الإسلام.. ثم كان معاوية في تبوك، وحاول مع أبيه اغتيال النبي ﷺ في عقبة تبوك، ولكن الله سلم [1].. ثم في عهد عثمان اجتهد في كنز الأموال واضطهاد الصالحين والربا.. وفي عهد علي قتل 25 بدريا ونحو 200 من أصحاب بيعة الرضوان بصفين. ثم في عهده، لعن علياً على المنابر، واضطهد الأنصار، ونبش قبر حمزة، وأمر أحد العمال بضرب قدم حمزة الذي قتل جده عتبة، فانبعث الدم من قدمه. وأراد تخريب منبر النبي مرتين، فأظلمت السماء، فترك ذلك، وذهب إلى الأبواء لينبش قبر أم

---

1) قصة محاولة الاغتيال هي تلك ذكرها الله في قوله {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} [التوبة: 74] وكان مع أبي سفيان ومعاوية آخرون بلغوا أربعة عشر رجلاً، فلعنهم، ثم بعد عودة النبي من غزوة تبوك، أخرج الذين حاولوا اغتياله من المسجد، ولعنهم، وكان منهم أبو سفيان وابناه معاوية وعتبة، وسندها صحيح.

النبي، ويطرحه في بئر، فأصابه الله باللقوة، فتوقف.. ثم كـانت خاتمتـه أنـه تحقـق فيـه قـول النـبي (يمـوت معاويـة على غـير ملـتي)، والحـديث صـحيح على شـرط مسـلم، وقـد صـححت الحديث جامعة أم القرى.. وتحقق فيـه الحـديث الآخـر (حـديث الدبيله) (1) فأصابته الدبيلة (قرحة كبيرة) فانغرست في ظهـره وخرجت من صدره، وبقي معذباً بها سنة كاملة)(2)

ثم ختم ذلك بقولـه: (هـذا هـو عجلكم معاويـة الـذي ملأتم بمدحـه الـدنيا، ولـو لم يكن فيـه إلا الحـديث الصـحيح: (يمـوت معاوية على غير ملتي) لكفى بذلك ذماً. وهذا الحديث يقطع كل جـدل، ورجالـه ثقـات أثبـات سـمع بعضـهم من بعض، وصـححه مجموعة من أهل الحـديث على شـرط مسـلم، منهم المحـدث محمد عزوز المكي وابن عقيل) (3)

ولم يكتف السلفية بكل ذلك، بل إنهم لأجـل الحفـاظ على المكانـة الرفيعـة لمعاويـة ومن معـه من الفئـة الباغيـة، راحـوا يقدمون ـ شـعروا أو لم يشـعروا ــ معاويـة على كـل الصـحابة، وحتى على السابقين منهم.

ومن الأمثلة على ذلك أنهم في الخلاف الخطير الذي جرى بين معاوية وأبي ذرّ الغفاري نراهم يقدمون معاويـة، ويعتبرونـه المحق، ويعتبرون أبا ذر جانيا بإنكـاره على معاويـة، ويلتمسـون كل المبررات التي تحفظ ماء وجه معاوية، ولو بإراقة مـاء وجـه

---

1) ففي صحيح مسلم من حـديث قيس بن عبـاد عن عمـار: (ثمانيـة تكفيكهم الدبيلة: مرض يظهر في ظهورهم فينجم من صدورهم)، وكـان لا يستتقذ كل رداء، حتى أنهم جعلوا لـه رداء من حواصـل الطـير، فاسـتثقله وآذاه، ولما طال مرضه وأعياه، نصحه طبيب بلبس الصليب، والـبراءة من دين محمد، ففعل ومات، انظر: رسالة بعنوان: حديث الدبيلة للشيخ حسن بن فرحان المالكي.

2) من مقال بعنوان: (هذا معاويه الذي ملأتم به الدنيا!)

3) من مقال بعنوان: (هذا معاويه الذي ملأتم به الدنيا!)

أبي ذر.

مع أن رسول الله ﷺ أخبر عن صـدق أبي ذر، وكونـه ابتلاء لمن بعده، فقال: (ما أقَلّت الغَبْراءُ ولا أظَلّت الخضراءُ من رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ)(1)

وسنحكي هنا باختصـار قصـة الخلاف، ومـا انجـر عنهـا من نفي أبي ذر إلى الربذة ليموت فيها شهيدا، والقصة هي ما رواه البخاري في صحيحه عن زيـد بن وهب، قـال: (مـررت بالربَـذَة فإذا أنا بأبي ذر، فقلت لـه: مـا أنزلـك منزلـك هـذا؟ قـال: كنت بالشـام، فـاختلفت أنـا ومعاويـة في: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِـزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَـا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّـرْهُمْ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نـزلت فينـا وفيهم، فكـان بيـني وبينـه في ذاك، وكتب إلى عثمـان يشكوني، فكتب إلي عثمـان: أن اقـدم المدينـة فقـدمتها، فكـثر علي النـاس حـتى كـأنهم لم يـروني قبـل ذلـك، فـذكرت ذاك لعثمان، فقال لي: إن شـئت تنحيت، فكنت قريبـا، فـذاك الـذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت) (2)

وقد روي أن سبب الخلاف كان أعمق من ذلك، فقـد كـان أبو ذر يلاحظ تلك التحريفـات الخطـيرة الـتي قـام بهـا معاويـة، وكان ينكر عليه، فبعث إليه معاوية بثلاث مائة دينار، فقـال: (إن كان من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هـذا قبلتهـا، وإن كـانت صلة فلا حاجة لي فيها)

وعندما بنى معاوية قصـره الخضـراء بدمشـق، فقـال: (يـا معاوية ! إن كانت هـذه الـدار من مـال اللـه فهي الخيانـة، وإن كانت من مالك فهذا الاسراف)

وكان يقول: (والله لقد حدثت أعمال ما أعرفهـا، واللـه مـا هي في كتـاب اللـه ولا سـنة نبيـه، واللـه اني لأرى حقـا يطفـأ

1) أحمد: 6/192

2) البخاري: 2/107.

وباطلا يحيى، وصادقا يكذب، وأثره بغير تقى، وصالحا مستأثرا عليه)، وكان الناس يجتمعون عليه، فنادى منادي معاوية ألا يجالسه أحد(1).

وفي رواية أن معاوية بعث إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها، فلما صلى معاوية الصبح، دعا رسوله فقال: اذهب إلى أبي ذر، فقل: أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإني أخطأت. قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار ولكن أنظرنا ثلاثا حتى نجمع لك دنانيرك، فلما رأى معاوية أن قوله صدق فعله، كتب إلى عثمان: أما بعد، فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهله، فابعث إلى أبي ذر فإنه وغل صدور الناس... الحديث(2).

وقد حاول السلفية سلفهم وخلفهم أن يلتمسوا كل الحيل لتبرئة معاوية ومروان، وإلصاق كل التهم بأبي ذر غير مراعين حجمه في الصحابة، ولا أسبقيته للإسلام، بل قدموا عليه الطلقاء وأبناء الطلقاء.

ومن تلك الاعتذرات ما عبر عنه ابن تيمية بقوله: (وأما قوله: إنه نفى أبا ذر إلى الربذة وضربه ضربا وجيعا، مع أن النبي ﷺ قال في حقه: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)، وقال: (إن الله أوحى إلي أنه يحب أربعة من أصحابي وأمرني بحبهم. فقيل له: من هم يا رسول الله؟ قال: علي سيدهم، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر)، فالجواب: أنّ أبا ذر سكن الرّبذة ومات بها لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس، فإن أبا ذر كان رجلا صالحا زاهداً، وكان من مذهبه أن الزّهد واجب، وأن ما أمسكه الإنسان فاضلا عن حاجته فهو كنز يكوى به في النار، واحتج على ذلك بما لا حجة فيه من الكتاب والسنة. احتج بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

1) ابن سعد 4 / 229.

2) سير أعلام النبلاء 2 / 50.

أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، وجعل الكنز ما يفضل عن الحاجة، واحتج بما سمعه من النبي ﷺ هو أنه قال: (يا أبا ذر ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا يمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار، إلا دينارا أرصده لدَين). وأنه قال: (الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا)، ولما توفي عبد الرحمن بن عوف وخلف مالا، جعل أبو ذر ذلك من الكنز الذي يعاقب عليه، وعثمان يناظره في ذلك، حتى دخل كعب ووافق عثمان، فضربه أبو ذر، وكان قد وقع بينه وبين معاوية بالشام بهذا السبب، وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك، مثاب على طاعته رضي الله عنه كسائر المجتهدين من أمثاله.... فلما كان في خلافة عثمان توسع الأغنياء في الدنيا، حتى زاد كثير منهم على قدر المباح في المقدار والنوع، وتوسع أبو ذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات. وهذا من أسباب الفتن بين الطائفتين، فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب، ولم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض)(1)

وهكذا نرى ابن تيمية يعلم أبا ذر ماذا يفعل، بل نراه يهينه حين لا يكتفي بتقديم معاوية عليه، بل يقدم عليه كعب الأحبار نفسه، وكأن كعبا ومعاوية أعلم بالدين من أبي ذر الذي أخبر رسول الله ﷺ عن صدقه.. بل أمر بحبه.

وهكذا ندرك أن سلف السلفية الأوائل ليسوا الصحابة السابقين، وإنما هؤلاء الطلقاء الذين استبدوا بالأمر من دون السابقين، ثم وجدوا من الفقهاء ومن متأخري الصحابة من ساندهم وأيدهم، فأصبحوا الممثلين الشرعيين للدين.

ونفس الأمر يقال في موقفهم من عمار بن ياسر، فهم يقدمون عليه معاوية، ويضربون بالأحاديث الواردة في فضله وكونه مقتولا من طرف الفئة الباغية عرض الحائط.

فهم يؤولون كل ما ورد من نصوص في ذلك تأويلا عجيبا،

---

(1) منهاج السنّة النبوية 6/271

كهذا التأويل الذي نراه من بعض السلفيين الأكاديميين المعاصرين، فقد قال: (روى البخاري ومسلم وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: (إن عمارا تقتله الفئة الباغية) وكان عمار مع أهل العراق، وقد قتله أهل الشام في صفّين، فالحديث دلّ على أن الفئة الباغية هي التي تقتل عمارا، ومن المحتمل أن الحديث لا يشمل كل أهل الشام، وإنما أريد به تلك العصابة- الفئة- التي حملت على عمار حتى قتلته، وهي طائفة من العسكر، وروي أن معاوية تأوّل الطائفة التي قتلت عمارا بأنها هي الطائفة التي جاءت به، فردّ عليه علي بقوله: (فالمسلمون إذن هم الذين قتلوا حمزة وليس المشركون)، وعند ابن تيمية أن ما ذهب إليه معاوية ضعيف، وأن ما قاله علي هو الصواب.. لكن لا يغيب عن البال أن في الطائفتين بغاة، فالذين قتلوا عمارا بغاة وهم من أهل الشام، والذين قتلوا الخليفة عثمان أعظم بغيا وجرما من هؤلاء، وهم مع جيش العراق، مما يجعل ما ذهب إليه معاوية بن أبي سفيان له وجه من الصحة، فقتلة عثمان هم السبب في مجيء عمار وغيره. وفي هذا الأمر يرى الباحث محب الدين الخطيب أن قتلة عثمان هم الفئة الباغية، فكل مقتول يوم الجمل وصفين فإثمه عليهم لأنهم هم الذين أججوا نار الفتنة بين المسلمين، ابتداء بعثمان وانتهاء بعلي ومرورا بطلحة والزبير وعمار)[1]

وقبله قال ابن تيمية: (ثم (إن عمارا تقتله الفئة الباغية) ليس نصا في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه ؛ بل يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها، ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار: كعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ؛ بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية، وعمرو)[2]

1) د. خالد كبير علال، دراسات نقدية هادفة عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول الكريم - قضية التحكيم في موقعة صفّين بين الحقائق والأباطيل-

بل إننا عندما نتأمل كلماتهم ومواقفهم نجدهم يقدمون معاوية على الإمام علي نفسه، غير مراعين صحبه، ولا أسبقيته للإسلام، ولا كل ما ورد في شأنه.

ولهذا يصورون معاوية أنه كان ولي دم عثمان، وأنه كان يطالب بالقصاص من قتلته الذين التحقوا بجيش علي.. وأن الإمام علي كان يمكنه أن يتفادى المشكلة، لو أنه دفع لهم القتلة..

يقول ابن تيمية: (لما رأى علي وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة، وهم –أي معاوية وأصحابه - قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوما باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا امتنعنا، ظلمونا واعتدوا علينا. وعلي لا يمكنه دفعهم، كما لم يمكنه الدفع عن عثمان ؛ وإنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا، ويبذل لنا الإنصاف) (1)

وقال: (لكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيه ظلمة – يعني قتلة عثمان - يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان، وأنهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم) (2)

هذه بعض النماج والأمثلة عن مواقف السلفية التبريرية لكل جرائم معاوية في حق نفسه وحق المسلمين وحق الإسلام.. والمشكلة الأكبر في تلك التبريرات أنها صورت

---

2) مجموع الفتاوى (35 / 77)

1) مجموع الفتاوى (35 / 72-73)

2) منهاج السنة (4/ 383)

الشخصية الإسلامية بصورة متناقضة تماما مع الصورة التي أراد الإسلام تكوينها.

فالصـورة المثاليـة للمسـلم هي صـورة أولئـك الصـحابة السابقين الذين مثلهم الإمـام علي أحسـن تمثيـل، والـتي تهتهم بالمبـادئ قبـل المصـالح، وبـالقيم قبـل المنـافع.. لكن الصـورة الجديدة التي تكونت لـدى السـلفية بسـبب ولائهم لمعاويـة هي صـورة المسـلم البراغمـاتي المصـلحي الـذي لا يهمـه سـوى الصعود، ولا يهم أي سلم يصعد عليه.

أو كما عبر عن ذلك الجاحظ بقوله: (كـان عليٌّ لايسـتعمل في حربه إلا ماعدّله ووافق فيه الكتـاب والسـنة، وكـان معاويـة يستعمل خلاف الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكايد، وجميع الخدع، حلالها وحرامها، ويسير في الحرب سيرة ملـك الهنـد إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى زنبيل، وفنغور إذا لاقى المهراج، وعليّ يقول: لاتبدؤوهم بقتل حتى يبدؤوكم، ولاتتبعـوا مـدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً) (1)

وعبر بعده سيد قطب عن ذلك، فقال: (إن معاوية وزميلـه عمراً لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في اسـتخدام كـل سـلاح، وهـو مقيـد بأخلاقـه في اختيـار وسـائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميلـه عمـرو إلى الكـذب والغش والخديعـة والنفـاق والرشـوة وشـراء الـذمم لا يملـك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل.فلا عجب ينجحـان ويفشـل، وإنـه لفشل أشرف من كـل نجـاح. على أن غلبـة معاويـة على علي، كانت لأسباب أكـبر من الـرجلين: كـانت غلبـة جيـل على جيـل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الـروح الإسـلامي العالي قد أخذ ينحسر. وارتد الكثيرون من العـرب إلى المنحـدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي في القمة لا يتبـع هـذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيـار. من هنـا كـانت هزيمتـه،

---

1) رسائل الجاحظ ص 365 (الرسائل السياسية)

وهي هزيمة أشرف من كل انتصار) (1)

ونحب أن نورد هنا مثالا يحـرص السـلفية على ذكـره عنـد تعديدهم لمنـاقب معاويـة، وخاصـة أن الـذي رواه هـو البخـاري صـاحب الصـحيح، وهـو مـا رواه عن ابن أبي مليكـة، قيـل لابن عبـاس: هـل لـك في أمـير المؤمـنين معاويـة فإنـه مـا أوتـر إلا بواحدة؟ قال: (أصاب إنه فقيه) (2)

وللأسف فإن السلفية يقبلون هذه الرواية عن ابن عبـاس، ويعرضون عن عشرات غيرها يذم فيها ابن عباس معاويـة.. مـع أن هـذه الروايـة نفسـها لا تعـبر إلا عن صـورة ذلـك المتكاسـل المحتـال الـذي لا يصـلي من الليـل إلا ركعـة واحـدة في نفس الوقت الذي أعرضوا فيه عن أولئك السـابقين الـذين كـانوا من أول الإسلام يقومون الليل نصفه وثلثه، بل حتى ثلثيه، بـل حـتى الليل جميعا.

بل إن الإمام الطحاوي ـ وهو من الموثـوقين لـدى السـلفية ـ أورد رواية أخرى تدل على أن مقولة ابن عبـاس لم تكن سـوى تهكما وسخرية، فقد روى بسنده عن عكرمة أنه قـال: كنت مـع ابن عباس عند معاوية نتحدث حتى ذهب هزيع من الليل، فقـام معاويـة فركـع ركعـة واحـدة، فقـال ابن عبـاس: (من أين تـرى أخذها الحمار) (3)

وقـد علـق الطحـاوي على الروايـة الـتي أوردهـا البخـاري بقوله: (وقد يجـوز أن يكـون قـول ابن عبـاس (أصـاب معاويـة) على التقية له)

2 ـــ آثـــار معاويـــة على النظـــام السياســـي

1) كتب وشخصيات، ص 242 ـ 243.

2) صحيح البخاري -تحقيق : د. مصطفى ديب البغا (ج 3 ص 1373)

3) شرح مشكل الآثار1: 289، رقم: 1720

والاقتصادي الإسلامي:

كما أن الإسلام جاء ليبني الشخصية السوية المؤمنة الممتلئة بالورع والتقوى، والتي شوهها السلفية بتلك النماذج الجديدة التي استبدلوا بها التربية النبوية، بالتربية الممتلئة بالأهواء، تحت حجة الصحابة واحترام الصحابة، فإنهم كذلك راحوا إلى أهم الجوانب في الإسلام، وهو جانب العدالة في السياسة والاقتصاد، ليستبدلوه ــ عبر تقبلهم لنموذج معاوية ودفاعهم عنه ـ إلى الجور والظلم والاستبداد باسم الإسلام.

ولذلك نراهم يضربون بكل النصوص التي وردت في تغير نظام الحكم الإسلامي، وتحوله إلى ملك عضوض، وانفصال القرآن عن السلطان عرض الحائط، حيث يعتبرون معاوية خليفة وحاكما عادلا رغم أنف الواقع، ورغم أنف كل تلك النصوص التي يصححونها.

فابن تيمية ـ مثلا ـ يقول في سيرة معاوية: (وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكان رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)[1]

ويقول: (واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة) [2]

ويقول: (فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمان

---

1) منهاج السنة [6 / 247] والحديث رواه أحمد ومسلم.

2) مجموع الفتاوى (4 / 478)

معاوية) [1]

وهكذا نرى ابن كثير يقول في ترجمته له: (وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو) [2]

بل إن ابن أبي العز الحنفي، وفي كتاب العقيدة الذي يتبناه السلفيون، وعلى أساسه يبدعون الأمة ويضللونها يقول: (وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين)[3]

وهكذا يقول الذهبي في ترجمته له: (أمير المؤمنين ملك الإسلام) [4]، ويقول: (ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم) [5]

وينقل ابن العربي عن بعضهم قوله: (إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة) [6]

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يروون أو ينسبون إلى سلفهم

---

1) منهاج السنة (6 / 232)

2) البداية والنهاية (8 / 119)

3) شرح العقيدة الطحاوية (ص 722)

4) سير أعلام النبلاء (3 / 120)

5) سير أعلام النبلاء (3 / 159)

6) العواصم من القواصم (ص213)

الأول كل أنواع التمجيد لنظام الحكم الذي أسسه معاوية، فقد قد رووا عن الزهري قوله: (عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً)(1)

ورووا عن همام بن منبه قوله: سمعت ابن عباس يقول: (ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية)(2)

ورووا عن الأعمش أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز وعدله، فقال: فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله بل في عدله(3).

وهكذا نرى المتأثرين بالسلفية من الإخوان المسلمين وغيرهم يجتهدون في التستر على جرائم معاوية، بل تبريرها وشرعنتها، كما فعل منير الغضبان الذي كان رقيبا للإخوان المسلمين في سوريا، فقد كتب كتابا حول معاوية يثني عليه سماه (معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد)، قال في مقدمته: (ما أعتقد أن شخصية في تاريخنا الإسلامي ومن الرعيل الأول من الصحابة الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ وعاشوا وحي السماء قد نالها من التشويه والدس والافتراء ما نال معاوية بن أبي سفيان.. لقد أصبح كثير من المعلومات ثابتة في أذهان الناس لا تقبل الشك ولا تقبل الجدل، لا تتناسب أبداً والمستوى اللائق بصحابة رسول الله ﷺ، وصورة معاوية في أذهان الناس أنه طالب سلطة وسياسي بارع ونهاز للفرص لا يرعوي عن شيء في سبيل الوصول إلى الحكم. صارع من أجل السلطة وسعى إلى قتل عشرات الألوف من الناس لكي يصل إلى الخلافة، وهذا الصورة تتنافى مع حس المسلم وفطرته، لكنه لا يجد لها بديلاً، فكتب التاريخ تذكر ذلك، وعندما

---

1) الخلال في كتاب السنة (2/444).

2) السنة للخلال [440]، الطبري في التاريخ [3 / 269]، البداية [8 / 137]

3) السنة للخلال (1 / 437)

جاء المؤرخون المحدثون وكتبـوا عن معاويـة، زادوا الطين بلـة، وكرسوا هذه المفـاهيم في أذهـان النـاس وزادوهم قناعـة بهـا، فكان لا بد من الكتابة عن معاوية بن أبي سفيان)(1)

هذا هدفه من الكتاب، وقد حاول أن يـبرر فيـه كـل جـرائم معاوية، وكل جرائم يزيد من بعده، وهو ما يعطي جرعات كافية للإرهـابيين ليسـتنوا بسـنة أخطـر إرهـابيين في التـاريخ معاويـة ويزيد.

ولذلك نراهم يرمون بالبدعة والضلالة بـل بـالكفر كـل من تكلم في جرائم معاوية التي سنها في نظـام الحكم والاقتصـاد، والتي شـرعها وبررهـا الفقـه السـلفي الـذي يؤيـد كـل طاغيـة، ويقف وراء كل مستبد.

وقد أشار الشيخ حسن بن فرحان المـالكي إلى بعض تلـك السنن التي سنها معاوية ومن تبعه من الفئة الباغيـة في الأمـة، فذكر منها: (التغيير في أعلى الهرم (السـلطة).. انتهـاك واسـع للحقـوق.. الإقطاعيـة.. العصـبية القبيلـة.. الملـك العضـوض.. الوراثة.. إبطال الشورى.. استخدام الاسـلام لخدمـة السـلطة.. عقيدة الجبر.. الطاعة الطلقة.. الغلو في الخلفاء.. سب الأنبيـاء والصالحين.. التكفير.. تفريق المسلمين طوائف وفرق.. تشريع المظـالم.. اسـتهداف المقدسـات.. فـرض العقائـد والأحكـام.. الرشوة والفساد.. اصطناع الرجال بـالمكر والمـال والمنزلـة... الاستئثار والاستغلال والاسـتحواذ على أخصـب الأراضـي وأنفـع الأمـوال.. فـرض الضـرائب على كـل شـيء حـتى أصـبحت بلاد المسـلمين مزرعـة كبـيرة.. إذلال النـاس، مثـل ختم الأعنـاق والأيدي حصل مع كبـار من الصـحابة وعامـة الفلاحين.. كراهيـة الشــعوب وظلمهم أســلموا أو لم يســلموا.. احتقــار المهن.. تحويل بيت مال المسلمين إلى خزينة للسلطان.. شن الحروب من أجل الغنيمـة والتوسـع.. التعـذيب وأصـنافه المختلفـة مثـل تعليق النساء من أثدائهن، وتسـليط الحيوانـات المفترسـة على

---

1) معاوية بن أبي سفيان صـحابي كبـير وملـك مجاهـد، منـير محمـد الغضبان، ص5.

المعذبين، وتقطيع الجسد قطعة قطعة، والدفن حياً، وسمل الأعين (ونسبوا ذلك للرسول ﷺ حتى يشرعنوه)، وبتر الأطراف، والإلقاء من المباني العالية، وقطع الألسنة، وسبي المسلمات، وذبح الأطفال أمام والديهم عمداً، وإجبار البربر على بيع نسائهم وأبنائهم في حال التقصير في ضريبة غير واجبة، وحمل رؤوس الصحابة)(1)

وقد علق الشيخ حسن على هذه الجرائم وغيرها، بقوله: (كيف يتخذ الغلاة هؤلاء الظلمة أئمة هدى، وينافحون عنهم ويحتجون بمظالمهم في كتب العقائد، ويتعبدون الله بمظالمهم وكذبهم وفجورهم.. كيف يتخذ الغلاة هؤلاء قدوة لهم، ويتبعون سنتهم ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ مع أن هؤلاء الظلمة لم يكونوا يؤمنوا بأن الله سيحاسب الخليفة.. لقد أشاع بنو أمية ووعاظهم أن الخليفة ليس عليه حساب ولا عقاب إذا حكم ثلاثة أيام وبعضهم قال أربعين يوماً! وفضلوا الخلفاء على الأنبياء، فكيف يتخذهم الغلاة قدوة لهم من دون كتاب الله ومن دون سنة رسول الله؟ كيف يرضون بهذا وهم يعرفون منهم ذلك) (2)

وما ذكره الشيخ حسن صحيح، فإلى الآن لا زال السلفية يعتبرون كل ما قام به بنو أمية وعلى رأسهم معاوية من جرائم اجتهادا يؤجرون عليه.. فالحاكم عندهم لا يسأل ولا يحاسب، بل هو فوق ذلك كله.

وقد أشار سيد قطب إلى هذا عند تأريخه للانحرافات التي انحرفت بالنظام السياسي والاقتصادي الإسلامي إلى الجور بدل العدالة، فقال: (مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم

1) خلاصات أموية، حسن المالكي.

2) خلاصات أموية، حسن المالكي.

والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام. وليس بالقليل ما يشيع في نفس الرعية ــ إن حقـاً وإن بـاطلا ـ أن الخليفة يؤثر أهله، ويمنحهم مئات الألوف ؛ويعزل أصحاب رسول الله ﷺ ليولي أعداء رسول الله ؛ ويبعد مثل أبي ذر لأنه أنكر كنز الأموال، وأنكر الترف الذي يخب فيه الأثرياء، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول ﷺ من الإنفاق والبر والتعفف.. فإن النتيجة الطبيعية لشيوع مثل هذه الأفكار، إن حقاً وإن باطلا، أن تثور النفوس، وأن تنحل نفوس.تثور الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثما، وتنحل نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار. وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان)(1)

وقال: (ومضى علي إلى رحمة ربه وجاء بنو أمية. فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته، كانت تقف حاجزاً أمام بني أمية.. لقد انهار هذا الحاجز.. وانفتح الطريق للانحراف. لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد، ولكن روحه انحسرت بلا جدال. ولولا قوة كامنة في طبيعة هذا الدين، وفيض عارم في طاقته الروحية، لكانت أيام أمية كفيلة بتغيير مجراه الأصيل.ولكن روحه ظلت تقاوم وتغالب وما تزال فيها الطاقة الكامنة للغلب والانتصار.غير أنه منذ أمية انساحت حدود بيت مال المسلمين، فصار نهباً مباحاً للملوك والحاشية والمتملقين، وتخلخلت قواعد العدل الإسلامي الصارم، فأصبح للطبقة الحاكمة امتيازات ولأذيالها منافع ولحاشيتها رسوم، وانقلبت الخلافة ملكاً وملكاً عضوضاً، كما قال عنه رسول الله ﷺ في وثبة من وثبات الاستشفاف الروحي العميق. وعدنا نسمع عن الهبات للمتملقين والملهين والمطربين، فيهب أحد ملوك أمية اثني عشر ألف دينار لمعبد، ويهب هارون الرشيد ــ من ملوك العباسيين ـ إسماعيل بن جامع المغني في صوت واحد أربعة آلاف دينار، ومنزلاً نفيس الأثاث والرياش.. وتنطلق الموجة في

1) العدالة الاجتماعيّة في الإسلام: ص161.

طريقها لا تقف إلا فترة بين الحين والحين)[1]

ولــذلك يمكن اعتبــار معاويــة أول مؤســس للعلمانيــة الدكتاتوريــة المســتبدة في الإســلام، كمــا أشــار إلى ذلــك في خطبته في أهل الكوفة بعـد الصـلح، فقـال: (يـا أهـل الكوفـة ! أتـراني قـاتلتكم على الصـلاة والزكـاة والحج، وقـد علمت أنكم تصلون، وتزكون وتحجون؟ ولكـني قـاتلتكم لأتـأمرعليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كـارهون. ألا إن كـل مـال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شـرطته، فتحت قدمي هاتين)[2]

فهذه الخطبة إعلان صريح منه بـ (أن العبادات قـد فصـلت عن القيادة والسياسة، فالأولى لكم فيها اتباع الشـرع ومـا قـال الله وقال الرسول، والثانية لي وأنا حر فيها.. وأنه قاتـل النـاس ليتأمر عليهم، ويأخذ القيادة بحد السـيف.. وأن النـاس كـارهون له في ذلك، إذ لم يكن ما فعله يحظى بذرة رضـا.. وأنـه تخلص من كل العهود والمواثيق والشروط التي قطعها على نفسه مـع الإمام الحسن ومع الأشخاص والقبائل، وأن الدماء الــتي أريقت في سـبيل وصـوله إلى السـلطة، والمعـارك الـتي قتـل فيهـا عشـرات الألـوف من المسـلمين لا حسـاب عليهـا ولا قـود ولا عقاب، وعلى الأمة إذن أن تنسى ما كان، وتبـدأ صـفحة جديـدة من تاريخها، الـذي سـتبدأ أحداثـه وفـق تصـور جديـد، وسياسـة مغايرة)[3]

وبذلك يكون معاوية قـد أسـس لمـا يمكن تسـميته الثـورة المضادة، حيث (أسس جهازا لتشويه أهل الحق، وآخـر لتصـفية المعارضين جسديا، واخترع الأحـاديث، ولفـق التفاسـير، وأنشـأ

1) العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص164ـ 165

2) الكامل لابن الأثير: 6 / 220.

3) الامامة والقيادة، الدكتور أحمد عز الدين، ص 118

الفرق الفكرية المعارضة، ونشر بين المسـلمين السـكوت على الظلم والظـالمين بـل وتأييـدهم، وأن الأسـلم لهم عنـد احتـدام المعركة بين الحـق والباطـل الفـرار إلى رؤوس الجبـال خشـية الفتنـة، وأرهب الآمـنين من النـاس، وصـادر أمـوال المعارضـين ظلما وعدوانا، وأغدق أموال الدولة على حزبه ومؤيديه، وعطل الحدود وأوقف الشرع، وابتـدع في الـدين على النحـو المفصـل في تاريخنا)(1)

كما أنه يمكن اعتباره أول من أسس للماكفيلية الإسـلامية الـتي تجعـل الغايـة هـدفا، وكـل مـا يـؤدي إليهـا من خـير وشـر وسيلة، وإلى هذا أشار عباس محمود العقاد في وصـفه للنظـام السياسي الـذي ابتدعـه معاويـة، حيث قـال في كتابـه [عبقريـة الإمام]: (فلم تكن المسألة خلافا بين علي ومعاويـة على شـيء واحد ينحسم فيه النزاع بانتصار هذا او ذاك، ولكنها كـانت خلافـا بين نظـامين متقـابلين وعـالمين متنافسـين: أحـدهما يتمـرد ولا يستقر، والآخر يقبـل الحكومـة كمـا اسـتجدت ويميـل فيهـا الى البقاء والاستقرار.. أو هي كانت صراعا بين الخلافة الدينية كمـا تمثلت في علي بن أبي طالب، والدولة الدنيوية كمـا تمثلت في معاوية بن أبي سفيان)(2)

وأشار إليه الشيخ محمد رشيد رضـا ــ وهـو من المحـدثين الذين يعتبرهم كثير من السلفية ـ فقد قال في مواضـع مختلفـة من كتبـه: (قـال أحـد كبـار علمـاء الألمـان في الأسـتانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغي لنـا أن نقيم تمثـالا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كـذا من عاصـمتنا (برلين) قيل له: لماذا؟ قال: لأنـه هـو الـذي حـول نظـام الحكم الإسـلامي عن قاعدتـه الديمقراطيـة إلى عصـبية الغلب، ولـولا ذلك لعم الإسلام العالم كله، ولكنا نحن الألمان وسـائر شـعوب

(1) الامامة والقيادة، الدكتور أحمد عز الدين، ص 118

(2) عبقرية الإمام ص80

أوربة عربا ومسلمين)[1]

بل أشار إلى ذلك بصراحة ووضوح الأديب الكبير عمرو بن بحر الجاحظ، وقد كان قريب العهد من معاوية ومن الفترة التي تـولى فيهـا الأمويـون، ورأى بعينـه تـدهور النظـام السياسـي الإسلامي، فقال: (فعندما اسـتوى معاويـة على الملـك، واسـتبد على بقيــة الشــورى، وعلى جماعــة المســلمين من الأنصــار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعـة، وماكـان عـام جماعة بل كان عـام فرقـةٍ وقهـر وجبريـة وغلبـة، والعـام الـذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسرويا، والخلافة منصـباً قيصـرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفساق، ثم مـازالت معاصـيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولـد الفـراش ومـايجب للعـاهر من إجمـاع الأمـة على أنّ سـمية لم تكن لأبي سـفيان فراشاً، وأنه إنما كان بها عـاهراً، فخـرج بـذلك من حكم الفجـار إلى حكم الكفار)[2]

3 ـ آثار معاوية على القيم الإسلامية:

لم يكتف معاوية ولا أنصاره من السلفية بتشويه الشخصية الإسلامية، ولا بنظام الحكم الإسلامي المبني على العدالة، وإنما راحوا فوق ذلك كله يشوهون كل تلـك المعـاني والقيم والنبيلـة التي جاء بها الإسلام، والتي تضمنتها مصادره المقدسة.

ومن الآليات التي نفذ بها ذلك التشويه توفـير كـل الفـرص لليهود الذين راحوا يفسرون القرآن الكـريم، ويشـوهون معانيـه عبر تشويه تلك النماذج الطاهرة من الأنبياء الكرام الذين طلب من المؤمنين أن يتخذوهم قدوة وأسوة.

ولذلك كانت المساجد مفتوحة لليهود وتلاميذهم في عصـر

1) تفسير المنار: ج11ص214، وذكر الحكاية نفسها في مقال له تحت عنوان (ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها) في مجلته المنار.

2) رسائل الجاحظ ص241 (الرسائل الكلامية)

معاوية وفيما بعده من العصور، ليكتسب كعب الأحبار ووهب بن المنبه وغيرهما الكثير من الطلبة والتلاميذ الذين يأخذون عنهم، فتختلط رواياتهم جميعا بالقرآن الكريم، وبحديث رسول الله ﷺ، حتى تصبح تلك العجينة المركبة من الأهواء والمقدسات عجينة تتلقفها كل الأجيال باعتبارها دين الله.

أما أولئك الصادقون المخلصون من المؤمنين، فقد زج بهم فيما يسمونه كذبا وزورا فتوحات إسلامية، وهل يمكن لرجل يشوه الإسلام ويشوه كل قيمه أن يقوم بمثل هذه الفتوحات، التي لم تكن سوى نزعة توسعية لا تختلف عن النزعات التوسعية التي امتلأت بها قلوب الأباطرة والظلمة عبر التاريخ.

ولذلك فإن تلك المقولة التي يرددها السلفيون ومن يتبعهم من الحركات الإسلامية من أن معاوية كان من الفاتحين، وأن ذلك وحده كاف في فضله، لا معنى لها، لأن هذا الدين بمصادره المقدسة جاء ليحيي المعاني الإنسانية النبيلة الطاهرة، ولم يأت ليقتبل أو ليذبح أو ليقوم بتوسع على أي أساس عسكري.

ومن أخطر الكذبات في هذا تلك الرواية التي أشاعوها، وعلى أساسها حكموا لمعاوية وابنه يزيد بالغفران والرضوان والجنان..

وهذه الرواية ـ التي اشترك الكثير من أتباع معاوية في روايتها(1) ـ هي (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)(2)، ثم يعقبون على ذلك بأن يزيد بن معاوية هو أول من غزاها..

1) فقد اشترك في روايتها: الأسود وخالد بن معدان وثور بن يزيد، والثلاثة نواصب في الجملة، والنواصب يحبون معاوية ويضعون في فضله الأحاديث أو يروونها بمعنى مغاير وهذه منها [انظر بحثا مفصلا في الحديث للشيخ حسن بن فرحان المالكي]

2) البخاري مع الفتح (6|22). ومسلم (13|57).

ومن العجب أن يعملـوا هـذه النبـوءة، ويتغـافلون عن عشرات النبوءات التي تخبر عن المظـالم الـتي يرتكبهـا الـبيت الأموي في حق الأمة.

ويتعـامون عن كـون يزيـد هـو صـاحب وقعـة الحـرة الـتي يصدق فيها قولـه ﷺ: (لا يَكيـد أهـل المدينـة أحـد إلا انمـاع كمـا ينمـاع الملح في المَـاءِ) (1)، وقولـه: (من أخـاف أهـل المدينـة فعليه لعنـة اللـه والملائكـة والنـاس أجمعين، لا يقبـل اللـه منـه صرفا ولا عدلا، من أخافها فقد أخاف ما بين هذين [وأشـار إلى ما بين جنبيه])

ومن تلـك التشـويهات الخطـيرة الـتي جـرهم إليهـا حبهم الموهوم للصحابة ولمعاوية والفئة الباغيـة معـه تعظيمهم لبسـر بن أرطاة باعتباره صحابيا، متغافلين عن دوره في قتل الصحابة وأبناء الصحابة وهدم دورهم وسبى الصـحابيات، كمـا تنص على ذلك مصادرهم التي يعتمدونها.

ولكنه بسبب كونه من الفئة الباغيـة ومن أصـحاب معاويـة المقربين أعطيت لـه الحصـانة الخاصـة الـتي تحميـه من النقـد والتجريح.

فقد روى أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي أنه قتـل قثم وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن العبـاس وهمـا ولـدان صـغيران أمام أمهما(2)

يقـول ابن العمـاد الحنبلي في ترجمتـه: (بسر بن أرطـاة العامري أمير معاوية في أهل البيت من القتل والتشـريد، حـتى خد لهم الأخاديد، وكـانت له أخبـار شـنيعة في علي وقتل ولـدي عبيد الله بن عبـاس وهمـا صـغيران على يـدي أمهمـا، ففقـدت

1) رواه البخاري ومسلم..

2) وقد صحح الحـديث الألبـاني، انظـر: سـنن الترمـذي ت شـاكر (4/ 53) ح 1450 قـال الألبـاني: (صـحيح) ومثلـه الأرنـؤوط والهـروي في المرقاة.

عقلها، وهامت على وجهها، فدعا عليه علي أن يطيل الله عمره، ويذهب عقله، فكان كذلك)(1)

ويقول الزركلي: (بسر بن أرطاة (أو ابن أبي أرطاة) العامري القرشي، أبو عبد الرحمن: قائد فتاك من الجبارين. ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيرا، وروى عن النبي ﷺ حديثين (في مسند أحمد) ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان. وشهد فتح مصر. ووجهه معاوية سنة 39هـ في ثلاثة آلاف إلى المدينة، فأخضعها، وإلى مكة فاحتلها، وإلى اليمن فدخلها. وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب علي، فقتل منهم جمعا. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية على البصرة سنة 41هـ بعد مقتل علي وصلح الحسن، فمكث يسيرا وعاد إلى الشام، فولاه البحر) (2)

فهذا نموذج عن صاحب من أصحاب معاوية الذين يلزمنا السلفية أن نعظمهم، وأن نعطيهم من القداسة والحرمة ما نعطيه للإمام علي أو لعمار بن ياسر.. بل يلزموننا في حال التخيير بينهما أن نختاره لأنه لا شك في كونه على سنة معاوية وأحبابه من الفئة الباغية.

4 ـ آثار معاوية على الوحدة الإسلامية:

وهذه من السنن التي سنها معاوية، والتي لا تزال آثارها إلى اليوم، وهي سنة فرعونية، تؤكد كون معاوية فرعون هذه الأمة، كما وردت الأحاديث الشريفة بذلك كما سنرى.

فلا يزال السلفية إلى اليوم يعتبرون معاوية ــ لا عليا ـ قسيما للجنة والنار، فبه يمتحن السني عندهم، ولهذا نراهم يؤلفون الكتب الكثيرة في فضل معاوية، وهو الطليق بن الطليق الذي قضى حياته كلها في حرب رسول الله ﷺ هو وأبوه وأمه وأهله جميعا، لكنهم لم يؤلفوا ولا نصف كتاب في

1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب،، (1/ 277).

2) الأعلام: (2/ 51)

عمار بن ياسر، ذلك الرجل العظيم الذي اعتبره رسول اللــه ﷺ محكا ومعيارا لتمييز الفئة الباغية الظالمة من الفئــة المحافظــة على دين اللــه الأصــيل، بــل إنهم يعتــبرون عمــارا ضــحية لابن السوداء، وللمخططات اليهودية التي انحرفت بالإسلام.

ولهذا نراهم في كتب العقائد التي وضعها سلفهم يجعلــون العقيدة في معاوية إلى جانب العقيدة في الله ورسله وملائكته، كمــا قــال الآجــري في (الشــريعة): (معاويــة رحمــه اللــه كــاتب رسول الله ﷺ على وحي الله عز وجل وهــو القــرآن بــأمر اللــه عز وجل وصاحب رسول الله ﷺ ومن دعا له النــبي ﷺ أن يقيــه العذاب ودعا له أن يعلمه الله الكتــاب ويمكن لــه في البلاد وأن يجعله هادياً مهدياً.. وهو ممن قال الله عز وجل ﴿ يَوْمَ لا يُخْـزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَـهُ ﴾ (التحــريم: 8) فقــد ضــمن اللــه الكريم له أن لا يخزيه لأنه ممن آمن برسول الله ﷺ)(1)

وقال ابن بطة في (الإبانة الصغرى): (تترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوج النبي ﷺ خال المؤمنين أجمعين وكاتب الوحي وتذكر فضائله)(2)

ولهذا ـ أيضا ـ نراهم يجيزون نقد عمار والطعن فيه وتأويل ما ورد في فضله من نصوص، بينما يعتــبرون الكلام في معاويــة طامة كبرى، وزندقة عظمى، وبدعة ليس لصاحبها قــرار ســوى في النار.. لأن سلفهم هو الذي قرر ذلك، ولا راد لقراره.

فقد رووا عن سلفهم عبد الله بن المبــارك قوله: (معاويــة عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاويــة شَــزْراً؛ اتهمنــاه على القوم، أعني على أصحاب محمد ﷺ)(3)

---

1) الشريعة: 3 / 496.

2) الإبانة الصغرى، ص: 299.

3) تاريخ دمشق59/209.

ورووا عن الربيـع بن نـافع قوله: (معاويـة بن أبي سـفيان ستر أصحاب رسول الله ﷺ فـإذا كشـف الرجـل السـتر اجـترئ على ما وراءه)(1)

ورووا كذبا وزورا عن النسائي أنه سُئِلَ عن معاوية، فقال: (إنما الإسلام كدار لهـا بـاب، فبـاب الإسـلام الصـحابة فمن آذى الصـحابة إنمـا أراد الإسـلام، كمن نقـر البـاب إنمـا يريـد دخـول الدار، قال: فمن أراد معاوية؛ فإنما أراد الصحابة)(2)

أما ما ورد من النصوص في الدعاء عليه، فـإنهم يفرضـون على المسلم تأويله حتى يصير من الفرقة الناجية، قال الألباني: (.. فسره بعض المحبين قال: لا أشبع الله بطنه، حـتى لا يكـون ممن يجوع يوم القيامة، لأن الخبر عنه أنه قال: (أطـول النـاس شبعا في الدنيا أطـولهم جوعـا يـوم القيامـة)(3).. وقـد يسـتغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنــاً في معاوية، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك.. ولـذلك قـال الحافـظ ابن عسـاكر (إنه أصح ما ورد في فضل معاوية) فالظاهر أن هذا الدعاء منـه ﷺ غير مقصود، بـل هـو مـا جـرت بـه عـادة العـرب في وصـل كلامها بلا نية كقوله ﷺ في بعض نسائه (عقرى حلقى) و(تـربت يمينـك)، ويمكن أن يكـون ذلـك منـه ﷺ ببـاعث البشـرية الـتي أفصح عنها هو نفسه عليه السلام في أحـاديث كثـيرة متـواترة، منها حديث عائشـة قـالت: (دخـل على رسـول اللـه ﷺ رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضـباه، فلعنهمـا وسـبهما، فلمـا خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شـيئا مـا أصـابه

---

1) تاريخ بغداد 1/209.

2) تهذيب الكمال 1/339-340، وهذا من الكذب عليه، لأن المؤرخين يـذكرون تعرضـه لمحنـة سـببها كتابـه في في فضـل الإمـام علي بن أبي طالب الذي جمع فيه الاحاديث الواردة في فضل الامام علي وأهل بيته..

3) رواه الترمذي وابن ماجة وهو حديث قوي بشواهده، كما في سـير أعلام النبلاء 3/123.

هذان؟ قال: وما ذاك؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: (أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً)(1)

بل إنهم ولمبالغتهم في شأن معاوية حرموا الكثير من علماء المسلمين من الانتماء للفرقة الناجية بسبب نقدهم لمعاوية ولاستبداده وطغيانه.

ومن أمثلة ذلك تلك الانتقادات الشديدة لسيد قطب بسبب نقد علمي بسيط ذكره في كتابه (كتب وشخصيات) عن معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، قال فيه: (إن معاوية وزميله عمراً لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لايملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل. وإنه لفشل أشرف من كل نجاح)(2)

وهو كلام طبيعي يبين فيه سيد قطب فضل السابق على الطليق، وأن أخلاق تلاميذ رسول الله ﷺ لا يمكن أن يعادلها أحد غيرهم.. لكن السلفية لم يعجبهم هذا، لأن النصب الذي ورثوه من أسلافهم جعلهم يفضلون من حيث لا يشعرون معاوية على علي، لأن معاوية هو الذي آوى سلفهم أبا هريرة وكعب الأحبار وغيرهما، بينما كان علي بن أبي طالب هو عدو سلفهم من اليهود وتلاميذ اليهود.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز تعليقا على النص الذي أوردناه لسيد قطب: (هذا كلام قبيح سب لمعاوية وسب لعمرو بن العاص؛ كل هذا كلام قبيح، وكلام منكر.. معاوية وعمرو ومن

---

1) السلسلة الصحيحة: 1/164.81.

2) كتب وشخصيات، ص242.

معهما مجتهدون أخطأوا. والمجتهدون إذاأخطأوافالله يعفوا عنـا وعنهم).

وعنـــدما ســـئل: ألا ينهى عن هـــذه الكتب الـــتي فيهـــا هذاالكلام؟ أجاب: (ينبغي أن تمزق)(1) مع أنـه هـو نفسـه يثـني ويحقق الكتب الممتلئة بسب الأنبياء، بل بسب سيد الأنبياء ﷺ.

ولو طبقنا هذه المعايير التي تعامل بهـا السـلفية مـع سـيد قطب وغيره مع الصحابة أنفسـهم، أو مـع السـلف الأول الـذين يــدعي السـلفية انتسـابهم لهم، لرأينـا حقيقـة السـلف الـذين يقصدهم السلفية.

ونحب أن نــورد هنـا بعض النمــاذج عن علمــاء ومحــدثين وفقهــاء كبــار من المدرســة الســنية، اتفقــوا جميعــا على ذم معاويـة، وبيـان عظم الفتنـة الـتي أوقعهـا في الأمـة، وذلـك ردا على من يتصور أن ذمه خاص بالشيعة..

فمن المحدثين المتقـدمين الـذين ذمـوا معاويـة ومـا فعلـه بالأمة، وهو ممن يعتـبرهم السـلفية سـلفهم الأول، ومن أركـان الروايـة والدرايـة: الحافـظ جريـر بن عبـد الحميـد، وهـو ــ كمـا يــذكرون ـــ ثقــة عــادل من رجــال الســتة (البخــاري ومســلم والترمذي والنسـائي وابـو داود وابن ماجه)، وقـد قـال فيـه ابن حجر العسقلاني: (وقال الخليلي في الارشاد: ثقـة متفـق عليـه. وقال قتيبة: حدثنا جرير الحافـظ المقـدّم، لكـني سـمعته يشـتم معاوية علانية) (2)

ومنهم الحافظ الفضـل بن دكين، وهـو الثقـة العـدل الحافـظ من رجال السـتة (البخـاري ومسـلم والترمـذي والنسـائي وابـو داود وابن ماجه)، فقد روى الحافظ الذهبي عن الحسين الغازي قال: سألت البخاري عن أبي غسان قال: وعماذا تسـأل؟ قلت: التشيع، فقال: هو على مذهب أهل بلده، ولو رأيتم عبيد الله بن

1) شرح رياض الصالحين، بتاريخ يوم الأحد 18/7/1416.

2) تهذيب التهذيب ج1 ص298

موسى، وابا نعيم، وجماعة مشايخنا الكوفيين، لما سألتمونا عن أبي غسان. قال الذهبي: وقد كان ابونعيم وعبيد اللـه، معظّمين لابي بكر وعمر، وانما كانا ينالان من معاوية وذويـه، رضـي اللـه عن جميع الصحابة) (1)

ومنهم الحافـظ الكبـير سـليمان بن مهـران الأعمش الـذي قال فيه الـذهبي: (الأعمش سـليمان بن مهـران، الامـام، شـيخ الاسلام، شيخ المقرئين والمحدثين ابو محمـد الاسـدي الكـاهلي مولاهم الكوفي الحافظ...) (2)

وقـد روى البلاذري في [أنسـاب الأشـراف] بسـند صـحيح قـال: (وحـدثني عبـد اللـه بن صـالح العجلي عن عبيـد اللـه بن موسى قال ذكر معاوية عند الاعمش فقالوا: كان حليمـا، فقـال الاعمش: كيف يكون حليما وقد قاتل عليا وطلب - زعم - بـدم عثمـــان من لم يقتله، وما هو ودم عثمـــان، وغـــيره كان اولى بعثمان منه.. وحـدثت عن شـريك عن الاعمش انـه قـال: كيـف يُعَدُّ معاوية حليما وقد قاتل علي بن أبي طالب.) (3)

ومنهم الإمام مسروق بن الأجدع، الذي قـال فيـه الـذهبي: (مسروق ابن الاجدع، الامام، القدوة، العلم، ابو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي... وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ)(4)

وقد روى البلاذري في [أنسـاب الأشـراف]، قـال: (وحـدثنا يوسف واسـحاق قـالا: جريـر عن الاعمش عن أبي وائـل قـال:

---

1) سير أعلام النبلاء: 10/430

2) سير اعلام النبلاء ج6 ص226 رقم110

3) أنساب الأشراف ج5 ص137

4) سير أعلام النبلاء ج4 ص63 رقم17

كنت مع مسروق بالسلسلة فمرت به سفائن فيه أصنام صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها فقالوا: بعث بها معاوية الى ارض السند والهند تباع له فقال مسروق: لو اعلمأانهم يقتلونني لغرقتها، ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني، والله ما أدري أي الرجلين معاوية، أرجل يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا، أم رجل زين له سوء عمله) (1)

ومنهم الحافظ شريك بن عبد الله، الذي قال فيه الذهبي: (شريك بن عبد الله العلامة الحافظ القاضي ابو عبد الله النخعي احد الاعلام..) (2)

وقد قال عنه في [ميزان الاعتدال]: (وروي أنّ قوما ذكروا معاوية عند شريك فقيل: كان حليما. فقال شريك: ليس بحليم مَنْ سَفَّهَ الحق وقاتل عليا.. قلت: قد كان شريك من أوعية العلم) (3)

ومنهم الحسن البصري، فقد روى الطبري وابن الأثير وابن الجوزي وأبي الفداء وابن كثير وغيرهم عنه قوله: (أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤهُ على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤهُ زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش، وللعاهر الحجر)، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، مرتين) (4)

---

1) أنساب الأشراف ج5 ص137

2) سير أعلام النبلاء ج8 ص37

3) ميزان الإعتدال ج2 ص274

4) تاريخ الطبري ج4 ص208 ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ج3 ص487 ، المنتظم لابن الجوزي ج5 ص243

وروى البلاذري عن الحسن قوله: قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم ينجحوا(1).

ومنهم عبيد الله بن موسى وهو من مشايخ البخاري، فقد روى الخلال في [السنة]، قال: سمعت محمد بن عبيدالله بن يزيد المنادي يقول: كنا بمكة في سنة تسع، وكان معنا عبيدالله بن موسى، فحدث في الطريق، فمر حديث لمعاوية، فلعن معاوية، ولعن من لا يلعنه، قال ابن المنادي: فأخبرت أحمد بن حنبل فقال: متعدي يا أبا جعفر فأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندي حدثهم أن أبا عبدالله ذكر له حديث عبيدالله بن موسى فقال: ما أحسب هو بأهل أن يحدث عنه وضع الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ ولقد حدثني منذ أيام رجل من أصحابنا أرجو أن يكون صدوقا أنه كان معه في طريق مكة فحدث بحديث لعن فيه معاوية، فقال: (نعم لعنه الله، ولعن من لا يلعنه)، فهذا أهل يحدث عنه علي الإنكار من أبي عبدالله أي إنه ليس بأهل يحدث عنه إسناده حسن)(2)

ومنهم علي بن الجعد، وهو صاحب [مسند علي بن الجعد]، وهو من رجال البخاري وابو داود، فقد قال الآجري عنه: قلت لابي داود: أيما أعلى عندك؟ علي بن الجعد أو عمرو بن مرزوق؟ فقال: عمرو أعلى عندنا. علي بن الجعد وسم بميسم سوء قال: ما ضرني أن يعذب الله معاوية. وقال: ابن عمر ذاك الصبي. وقال ابو جعفر العقيلي: قلت لعبد الله بن احمد بن حنبل: لم لم تكتب عن علي بن الجعد؟ فقال: (نهاي أبي أن أذهب إليه، وكان يبلغه عنه أنه يتناول أصحاب رسول الله ﷺ) (3)

1) أنساب الأشراف (2/121)

2) السنة للخلال ج3 ص505 رقم 808

3) تهذيب الكمال ج20 ص347 ، تاريخ بغداد ج11 ص364

ومنهم الامام الشافعي، فقد قال أبو الفداء في تاريخه عنه: (ورويَ عن الشافعي رحمه الله تعالى أنّه أسرّ إالى الربيع أنه لايقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد) (1)

ومنهم الإمام النسائي، المحدث الكبير صاحب السنن، فقد ذكر المؤرخون أنه بعد أن ترك مصر في أواخر عمره قصد دمشق ونزلها، فوجد الكثير من أهلها منحرفين عن الامام علي بن أبي طالب، فأخذ على نفسه وضع كتاب يضم مناقبه وفضائله رجاء أن يهتدي به من يطالعه أو يلقى إليه سمعه، فأتى به والقاه على مسامعهم بصورة دروس متواصلة.. وبعد ان فرغ منه سئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقال: (أما يرضى معاوية ان يخرج رأسا برأس حتى يفضل؟)، وفي رواية: (ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك)، فهجموا عليه وداسوه حتى أخرجوه من المسجد، فقال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها، فتوفى بها(2).

ومنهم الحاكم النيسابوري المحدث الكبير المعروف، فقد قال الذهبي: (عن ابن طاهر: أنه سأل أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، عن أبي عبد الله الحاكم، فقال: ثقة في الحديث، رافضي خبيث.. قلت: كلا ليس هو رافضيا، بلى يتشيع.. قال ابن طاهر: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفا غاليا عن معاوية رضي الله عنه وعن أهل بيته، يتظاهر بذلك، ولا يعتذر منه، فسمعت أبا الفتح سمكويه بهراة، سمعت عبد الواحد المليحي، سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: دخلت على الحاكم وهو في داره، لا يمكنه الخروج إلى المسجد من أصحاب أبي عبد الله بن كرام، وذلك أنهم كسروا منبره،

---

1) تاريخ ابي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر ج1 ص259 ، ورواه البغدادي في خزانة الأدب ج6 ص51

2) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ص699،ووفيات الأعيان لابن خلكان ج1 ص77 والمقفى الكبير للمقريزي ج1 ص 402، والبداية والنهاية لابن كثير ج11 ص124 وغيرها كثير

ومنعوه من الخروج، فقلت له: لـو خـرجت وأمليت في فضـائل هـذا الرجـل حـديثا، لاسـترحت من المحنـة، فقـال: لا يجئ من قلبي، لا يجئ من قلبي)(1)

ومنهم الإمام عبد الرزاق الصنعاني ـ وهو من كبار العلمـاء ومن رجال الستة (البخـاري ومسـلم والترمـذي والنسـائي وابـو داود وابن ماجه)، قال الحافظ ابن حجـر العسـقلاني: (قـال ابـو داود: وكان عبد الرزاق يعرِّض بمعاوية) (2)

وروى الـذهبي عن مخلـد الشـعيري قولـه: كنت عنـد عبـد الرزاق فذكر رجل معاوية، فقـال: (لا تقـذر مجلسـنا بـذكر ولـد أبي سفيان) (3)

وعلى نهج هـؤلاء المتقـدمين سـار الكثـير من المحـدثين والفقهاء المتأخرين الكبار، ومنهم الحافظ أحمـد الغمـاري وهـو صوفي مـالكي أشـعري، فقـد قـال في كتابـه [الجـواب المفيـد للسـائل والمسـتفيد]: (وفي الصـحيح، صـحيح مسـلم عن علي عليه السلام قال: والذي فلق الحبة برأ النسـمة انـه لعـد عهـده الي رسول الله ﷺ أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق، وفي صحيح الحاكم وغيره: مَنْ سبَّ عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله؟ ومن سب الله فقـد كفـر، وفي الصـحيح وغـيره مما تواتر تواترا مقطوعا بـه:من كنت مـولاه فعلي مـولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده، وهـذا الحـديث قـد جمـع اسـانيده ابن جريـر الطـبري في مجلـدين لكثرتهـا.. والمقصـود من هـذه الأحاديث الصحيحة المتفق عليها مـع مـا تـواتر من لعن معاويـة لعلي على المنبر طـول حياتـه، وحيـاة دولتـه إلى عمـر بن عبـد العزيز وقتاله وبغضه، يطلع منه أنـه منـافق كـافر، فهي مؤيـدة

1) سير اعلا م النبلاء ج17 ص174

2) تهذيب التهذيب ج2 ص574

3) ميزان الاعتدال ج2 ص610

لتلك الأحاديث الأخرى ، ويـزعم النواصـب أن ذلـك (أعـني لعن معايـة لعلي) كـان اجتهـادا، مـع ان النـبي ﷺ يقـول في مطلـق الناس: (لعن المؤمن كقتلـه)، فـإذا كـان الاجتهـاد يـدخل اللعن وارتكـاب الكبـائر، فكـل سـارق وزان وشـارب وقاتـل يجـوز أن يكون مجتهدا، فلا حد في الدنيا ولا عقابَ في الآخرة) (1)

وقال في كتابه [جؤنة العطار] تعليقا على حديث [إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه]: (وهذا حـديث صـحيح على شـرط مسلم، وهو يرفع كل غمة عن المـؤمن المتحـير في شـأن هـذا الطاغية قبحه الله، ويقضي على كل ما يموه به الممـوهـون في حقه ومن أعجب مـا تسـمعه أن هـذا الحـديث خرجـه كثـير من الحفاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشـهورة، ولكنهم يقولـون: (فطلع رجـل)، ولا يصـرحون باسـم اللعين معاويـة، سـترا عليـه وعلى مذاهبهم الضـلالية في النصـب وهضـم حقـوق آل الـبيت، ولو برفع منار أعداءهم، فالحمد لله الذي حفـظ هـذه الشـريعة رغم على دس الدساسين وحفظ المبطلين) (2)

ومنهم السيد محمد بن عقيل العلوي الشـافعي، فقـد كتب كتـابين في ذم معاويــة وهمــا: [النصــائح الكافيــة لمن يتــولى معاوية]، والآخـر [تقويـة الإيمـان]، وقـد أثبت فيهمـا أن السـادة الشافعية العلوية باليمن كلهم متفقـون على ذم معاويـة، وعـدم جواز الترضي عليه، بل قال بوجوب لعنه والتبري منه.

ومن تصريحاته الدالة على ذلـك قولـه في كتابـه [النصـائح الكافية لمن يتولى معاويـة]: (قـال لي بعض علمـاء حضـرموت يوما بعد أن جـرى البحث بيـني وبينـه في مسـألة وجـوب بغض معاوية وجواز لعنه ومنـع الترضـي عنـه وتسـويده: (إنّ أسـلافك السـادة العلـويين الحسـينين كلهم سـنيون أشـعريون عقيـدة، شافعيون مذهبا، وهم من العلم والعمل والزهـد والـورع بمقـام

1) الجواب المفيد للسائل والمستفيد ص59.

2) جؤنة العطار ج2 ص154

سام ومرتبة عالية فكيف خالفتهم بأقوالك واعتقادك أتـرى انهم اخطأوا وأصبت ام الامر بالعكس)، فأجبته: (إن السادة العلويين رضي اللـه عنهم لكمـا ذكـرت من كمـال العلم والمعرفـة باللـه وسـلوك الطريـق المسـتقيم وعقائـدهم هي عقائـد أجـدادهم المطهرين وأسلافهم المهتـدين .. لا يحيـدون عن تلـك الطريقـة ولا يتحققون الا بتلك الحقيقـة.. وقـد وافـق اعتقـادهم أكـثر مـا دونه أبو الحسن الاشعري في كتبه الكلامية فهم أشعريون بهـذا المعنى، وهم شـافعيو المـذهب في الفـروع الفقهيـة إلا أن لهم اختيـارات وانظـار خـالفوا فيهـا الشـافعية والأشـعرية .. كقـول الكثير منهم بانتفـاء عدالـة معاويـة وأشـباهه وبغضـهم في اللـه ومنـع تسـويدهم والترضـي عنهم، على أنهم لا يخوضـون في المسألة إلا في مجالسهم الخاصة بهم ولقد ذاكرت منهم رجـالا كثـيرة من فضـلاء من أدركنـاهم وتوفـاهم اللـه إليـه ومن الموجـودين الآن فيمـا يقـول الأشـاعرة والماتريديـة في هـذه المسائل وكلهم يرفضـه ويأبـاه ويشـير إلى السـكوت إن خيفت فتنـة، ولـو كنت اسـتاذنتهم لـذكرت أسـماءهم واحـدا فواحـدا، فليس بيني وبينهم خلاف في العقيدة، ولا افتراق في الطريقـة، وإنما أسروا وأعلنت وأجملوا وبينت وأشاروا واوضحوا وعرضـوا وصرحت) (1)

ومنهم العلامة الكبير أحمد خيري الكوثري، وهو من علمـاء الحنفيـة الكبـار، فقـد كتب في تعـداد جـرائم معاويـة في حـق الإسلام أرجوزة خصـها بـذلك، سـماها [الأرجـوزة اللطيفـة](2)، ومما جاء فيها قوله:

فأول المعدود في ... والجالب السوء إلى

المستعين دائما ... والممتطي مراكب

كبير أهل الزيغ ... لعين ذي الإكرام

---

1) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص309.

2) الأرجوزة اللطيفة ص 9.

خصيم آل سيد الوجود طريده عن حوضه
أعني طليق السيف من بطنه في كل
فانظر رعاك الله في وابحث هداك الله عن
ترى الخداع والنفاق مع الفجور والرياء
ويخذل الشهيد ذا ويخدع الناس بكل
وقتل عمار وما عمار من قال فيه السيد
ما في الصحيحين أتى وعده السيوطي تواترا
فالبغي حكم قاتليه واللعن حكم البغي
هذا وكيف الناس يوما قتل أويس يا لها من
وغدره للسبط بعد وجهره بأنه بالضد
وسبه أبا تراب ومعه ذرية وصحبة ما
وإن ترد دليل ذا يا في مسلم فانظره
وقتله السبط بسُم ثم تحقق الأمر وجاءه
وما الشمات أمره وقد بدا السجود
لولاَ النساء لُمنَهُ لما ولا استمر مظهرا
وقتل حجر وصحاب من غير ذنب ما جنوه
بعض ذنوب ذلك حيث بها قد صار
وغشه للرجل والغش ليس من أمور
حتى تنال زوجه أرينب وفي الطلاق ليزيد
لولا الحسين جاءه لمات غما زوجها
وإن ترد كبيرة الكبائر وإن تكن صغيرة
فعهده للفاسق غلامه عبد الهوى
أعني يزيدا لعنة الله عليهما ما قام لله

إلى آخر الأرجوزة.. مع العلم أن صاحبها لم يكن شـيعيا ولا

رافضيا ولا مجوسيا، بل كان سنيا ماتريـديا، وكـان تلميـذا نجيبـا لعدو السلفية الأكبر في هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثري.

هذه بعض النماذج والأمثلـة عن علمـاء كبـار من المدرسـة السنية ذموا معاوية، وقد ذكرتها حتى لا يزايد علينا أي أحد بتلك النصوص التي يذكرها السلفية كل حين، ويعتبرون فيها التعرض لمعاوية زندقة وضلالا.. وسنرى في باقي فصول الكتـاب أولئـك الأئمة الذين نقلوا عنهم تلـك المقـولات لـنرى حظهم من العلم والدين والحرص على الإسلام.

ثالثا ـ عوامل تأثر السلفية بمعاوية والفئة الباغية

عند تأمل أسباب ذلك التعلق الشديد الذي وقع فيه السلفية سلفهم وخلفهم بمعاوية وبغيره من الفئة الباغية من الطلقاء إعراضهم عن ثلاثة مصادر كبرى للحقيقة، طالما صوروا للعالم أنها حقهم وحدهم، وأنهم وحدهم المستأثرون بها من دون المؤمنين.. وهي القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والصحابة الكبار.

ففي هذه المصادر جميعا الحق الواضح الجلي الذي يبين حقيقة أولئك الطلقاء الذين انقلبوا على الإسلام الإلهي، وحولوه إلى إسلام بشري ممعن في الانحراف.

وسنتناول هنا نماذج عن هذه المصادر، لنكتشف حقيقة الخدعة الكبرى التي يعيشها السلفية بسبب تبنيهم لمعاوية وإسلامه الأموي.

1 ــ الإعراض عن الرجوع للقرآن الكريم في أحداث الفتنة

مع أن السلفية يؤمنون ـ كما يؤمن سائر المؤمنين ــ بأن القرآن الكريم يحوي كل الحقائق التي من تعلق بها واهتدى بهديها لن يضل أبدا، إلا أنهم في الواقع من أكثر الناس إعراضا عن تفعيله في أهم أوقات الحاجة إليه.

ومن مصاديق ذلك التعطيل الإعراض عن تدبر الآيات القرآنية الكثيرة التي تخبر عن حقيقة أولئك الطلقاء الذين تحولوا بين عشية وضحاها إلى قادة وسادة وحكام على الأمة، بل تحولوا إلى مدبرين لأمور دينها ودنياها.

ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى:﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ

خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [يس: 7 - 10]

فهذه الآيات ـ باتفاق جميع المفسرين ـ نزلت في كفار قريش، وهي تقصد ـ أول ما تقصد ـ رؤساءهم الكبار الذين حولهم السلفية إلى مؤمنين صادقين، بل صحابة أجلاء، مع أن القرآن الكريم أخبر أنه سواء أنذروا أولم ينذروا، فإنهم لا يؤمنون..

ونحن في ذلك بين أن نصدق القرآن الكريم، وإخباراته الغيبية، وإما أن نصدق تلك المقولات السلفية التي خالفت القرآن مخالفة شديدة حين لم تكتف بإثبات الإيمان لأولئك الذين أخبر الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، وإنما أضافت إليه الدفاع عنهم، واعتبارهم من أركان الدين وأعمدته، بل أخرجت من الملة من لم يؤمن بذلك.

ومن الآيات الكريمة الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ [السجدة: 28 - 30]

فمن مصاديق الفتح في هذه الآية ـ وبحسب التفسير القرآني الذي هو أهم التفاسير وأدقها وأصحها ـ فتح مكة، أو الفتح الذي حصل بعد صلح الحديبية، حيث أسرع الكثير إلى الإسلام لا قناعة به، وإنما بسبب انتصاراته، فأسلموا رغبة أو رهبة، ولم يسلموا قناعة وإذعانا.

وللأسف فإن السلفية تتبنى أولئك الذين أسلموا بعد الفتح، أو بعد صلح الحديبية أكثر مما تتبنى غيرهم من السابقين، مع أن الله تعالى أشار في القرآن الكريم إلى الفرق الكبير بينهما.

وبناء على هذا يجتهد السلفية في نفي ارتباط الآيات الكريمة بفتح مكة مع ورود الكثير من الروايات عن السلف

الذين يعتمدونهم في الدلالة على ذلك، وقد قال ابن كثير معبرا عن وجهة النظر السلفية: (.. ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم)[1]

وهذا تبرير عجيب، فرسول الله ﷺ كان يقبل إسلام أي كان من غير بحث في باطنه، ولذلك قبل إسلام المنافقين، وتعامل معهم كما يتعامل مع المسلمين أنفسهم، مع علمه بباطنهم، وبكفرهم، بل بكونهم أشد كفرا من الكفار الصرحاء أنفسهم.

ومشكلة السلفية هي أنها تتصور أن قريشا لا يمكن أن تنافق.. وأن النفاق خاص بالأوس والخزرج، فلذلك يذكرون أن عبد الله بن أبي بن سلول نافق عندما دخل رسول الله ﷺ المدينة حرصا على نفسه ومصالحه.. ولا يتصورون أن أبا سفيان أو معاوية أو غيرهما من صناديد قريش نافقوا بعد دخول رسول الله ﷺ مكة.. ولست أدري الدليل الذي خصوا به النفاق في أهل المدينة، وعصموا منه أهل مكة، مع أن الأدلة الواقعية الكثيرة تدل على أن صناديد قريش كانوا أكثر عتوا وطغيانا من صناديد المدينة.

وقد عقب الشيخ حسن المالكي على قول ابن كثير السابق بقوله: (ويقال له: من قال لك يا ابن كثير بأن النبي ﷺ يعامل الناس بما في القلوب؟ فالنبي ﷺ يقبل من الناس الظاهر حتى ولو علم الباطن، والله في الآية يخبر عن الباطن والحقيقة إن صح كونها في فتح مكة، وماذا يريد ابن كثير من النبي ﷺ أن يفعل؟ أن يقتلهم مثلا؟ كان النبي ﷺ قد قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) قبل أن يسلموا، وصاحوا يوم حنين: (بطل السحر اليوم)، ولم يعاقبهم، وحاولوا اغتياله أكثر من مرة ولم يعاقبهم، فهل إسلامهم مقبول في كل هذه المواقف؟

1) تفسير ابن كثير: ج 6 / ص 374.

ثم ماذا سيقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 7]؟ وهذه نزلت في قريش في العهد المكي، أو تتناولهم بالأولوية حسب سياق الآيات)(1)

ومن الآيات القرآنية الواضحة والصريحة في شدة كفر كبار كفار قريش، وأنهم لا يختلفون عن كبار قوم عاد وثمود، تلك الآيات التي تذكر شروطهم للإيمان، باعتبارها شروطا تعجيزية لا يمكن تحققها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 89 - 94]

ويؤيد هذا تلك الوقائع التاريخية المسجلة في كتب الحديث والسيرة، والتي تبين تعنت رؤوس الشرك ــ بمن فيهم البيت السفياني نفسه ـ أمام المعجزات والخوارق التي كان يظهرها الله على يدي نبيه ﷺ.

فهل يمكن لمن رأى القمر منشقا في السماء ــ كما دلت على ذلك الروايات الكثيرة التي يبدع السلفية منكرها(2) ـ ثم لا يؤمن، بل يزداد كفرا وعتوا، بل يضيف إلى ذلك كل أنواع الصد

1) بحث في إسلام معاوية، ص18.

2) وردت قصّة انشقاق القمر من حديث ابن مسعود، رواه الإمام أحمد والشيخان والبيهقي وأبو نعيم من طرق عن ابن عمر، ورواه الشيخان والبيهقي عن جبير بن مطعم ورواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والحاكم والبيهقي عن حذيفة بن اليمان ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم ببعض هذه القصة عن ابن عباس ورواه الإمام أحمد والشيخان وابن جرير وأبو نعيم من طرق وأنس بن مالك ورواه الإمام أحمد والشيخان وأبو نعيم، انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (9/ 430)

عن سبيل الله.. هل يمكن لمن كان هذا حاله أن يؤمن، ويحسن إيمانه عندما يرى جيش المسلمين داخلا إلى بلده، وليس له أي حيلة في صده؟

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن مستقبل كفار قريش الذين واجهوا رسول الله ﷺ بالمحاربة والصد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: 55]

وهي إخبار من الله تعالى بأن أولئك المشركين ختم على قلوبهم، وأنهم لا يؤمنون حتى تأتيهم الساعة، وقد علق عليها الشيخ حسن المالكي بقوله: (وهذا إخبار.. وإخبار الله صادق لا كذب فيه.. والذي يقرأ سيرة أبي سفيان ومعاوية يعرف أن هذه المرية لم تفارق قلوبهم.. وقد نزلت وهم من كبار هؤلاء المقصودين في الآية والبقية تبع لهم، وإذا تمت تبرئة الرأس تبعه تبرئة البقية من باب الأولى فبطل معنى الآية، بينما اتهام الرأس يبقي معه بعض الأتباع فيبقى معنى الآية)[1]

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن موقف كفار قريش من القرآن الكريم، وسعيهم الدؤوب لمعارضته ومحاربته قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 26 - 28]

وهي في تطبيقها التاريخي لا تنحصر في مكة المكرمة، ولا في أولئك الصناديد من المشركين، وإنما تمتد إلى الفترة التي قام فيها أولئك الصناديد وأبناءهم بالانقلاب على الإسلام المحمدي الأصيل، فقد (استمر معاوية في صد المسلمين عن كتاب الله عن طريق إغراقهم بالروايات الإسرائيلية والجبرية

1) بحث في إسلام معاوية، ص24.

والشعر والعصبيات.. وغيرها)(1)، ولا يزال تأثير ذلك إلى اليوم.

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن طبع الله على قلوب المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) ﴾ [النحل: 107 - 110]

وهذه الآيات ـ كما يذكر الشيخ حسن المالكي ـ (لم تستثن إلا المهاجرين.. ومعلوم أن الطلقاء قسم ثالث، ليسوا مهاجرين ولا أنصارا.. فهم واقعون تحت الوعيد وخاصة رؤساؤهم وكبارهم.. وإذا شذ القليل فالشاذ لا حكم له) (2)

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن طبع الله على قلوب المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: 6، 7]

وأول المقصودين بالآية ــ باعتبارها من أوائل ما نزل بالمدينة المنورة ـ هم كفار قريش الذين أخرجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين معه من مكة المكرمة، والآيات واضحة في كون الله طبع على قلوبهم، وختم عليها، فلذلك يستحيل أن يؤمنوا.

يقول الشيخ حسن المالكي في بيان وجه دلالتها: (وهذا تأكيد لما سبق في السور المكية، وكل آية في الذين كفروا تتناول كفار قريش بالأولوية ساعة نزول الآيات، وتتناول رؤوسهم قبل العامة، لأنهم الأعداء الأساسيون، وهم من قامت

1) بحث في إسلام معاوية، ص24.

2) بحث في إسلام معاوية، ص25.

عليهم الحجة وهم من تحاور وعاند وكابر وتآمر وأصر حـتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فطبع على قلوبهم بكثرة العنـاد، لأن الهداية غالية ولا يعرضها الله دائما، بل لوقت ثم يرفعها لأن المخاطب يكون قد أخذ نصـيبه من الـوقت والحجـة، واللـه هـو العـدل، فمن عرضـت عليـه الحجج عشـرين سـنة وهـو يأباهـا ويحاربها ويحارب صاحبها لا يكون مستحقا لفضل الهداية، فاللـه لا يتوسل إلى أحد، وإنمـا يبتلي ويختـبر، والاختبـار سـنة واحـدة كان كافيا لأهل الأبطح) (1)

وعقب على ذلك التلاعب الذي مارسته السياسة لتخرج أبا سفيان ومعاويـة وكبـار كفـار قـريش من أولئـك الـذين أخـبرت الآيـات الكريمـة عنهم، فقـال: (السياسـة هي من حصـر هـؤلاء بالمقتولين! مع أن أكثر المقتـولين يـوم بـدر ليسـوا في عـداوة أبي سفيان للنـبي ﷺ، ولا في بلوغـه بالحجـة ولا في فهمـه لهـا وعنـاده وكـبره وصـده عن سـبيل اللـه.. والآيـة إن لم تكن في الزعماء المتبوعين فلن تكـون في الرعـاة التـابعين، عـدل اللـه يأبى هذا، ومنهج القرآن يأباه، فالقرآن يتناول الزعمـاء بالدرجـة الأولى، وكان أبـو سـفيان من هـؤلاء الزعمـاء بلا شـك، بـل هـو زعيم الحروب ضد النبي ﷺ وهو الوحيـد الـذي حـزب الأحـزاب، فلم يكن يوم بدر أحزاب، وإنمـا كـانت قـريش فقـط، ومن هنـا يتـبين لنـا المسـلك السياسـي (الأمـوي خاصـة) في تخصـيص القـرآن بمـا يميت آياتـه ويحصـرها في مـا لا فائـدة فيـه على المستوى الفكري عنـد المسـلمين، إذ لـو كـانت ثقافـة القـرآن مستقرة في عقول المسلمين بـأن أبـا سـفيان منهم، فلابـد أن يثـير هـذا الاعتقـاد بعض التسـاؤلات عن أثـر أبي سـفيان على السياسة العامة للمسلمين، وأثر ابنه معاويـة في صـرف دلالات القرآن إلى عدو ميت! ليطمئنوا بأن العدو مـات! وأن كلام اللـه ليس على إطلاقه! أو أنه غير صحيح! فالله لم يختم على قلوب رؤوس الكفر من قريش، وأن التاريخ أثبت أن ما يخـبر بـه اللـه ليس بالضرورة أن يكون صحيحا ولا مطابقا، وعلى هذا فالقرآن توقعات محمد فقط.. هـذا مـا يريـد معاويـة وأمثالـه أن يثبتـوه،

---

1) بحث في إسلام معاوية، ص27.

والسلفية (حليفة معاوية) تتدين برأي معاوية، وتستبعد صحة مثل هذه الآيات ولو احتمالا.. تصوروا ! حتى مجرد الاحتمال أن أبا سفيان من هؤلاء مستبعد في الفكر السلفي، ليس لأن الله لم يقل ويكرر، ولكن لأن معاوية لم يرد ذلك، وخفاء الدور السياسي على الحمقى، فلا مكر كمكر السلطان، ولا جند كجند الحمقى، فإذا اجتمعا لم يردهما شيء) (1)

ومن الآيات القرآنية المخبرة عن مستقبل المحاربين لرسول الله ﷺ من كفار قريش، الآيات الكريمة التي تشبههم بكفار الأمم من قبلهم، لأن سنة الله فيهم جميعا واحدة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 10 - 12]

والآية الأخيرة واضحة الدلالة في بيان مستقبل أولئك المشركين، سواء في الدنيا أو في الآخرة، يقول الشيخ حسن المالكي ـ في بيان تعامل السلفية مع أمثال هذه الآيات ــ: (هنا وعيدان من الله تحقق أحدهما في الدنيا، والسلفية لا يرون الثاني إلا توقعا خاطئا! فمن المخاطبون ساعة نزول الآية؟ أليست قريشا.. أليس هذا يتناول زعماء الحرب على الأقل ممن أعرقوا في المحاربة والتحزيب والتصدر والمبالغة في معاداة النبي ﷺ.. هذه الآية وأمثالها عند السلفية راحت هباء منثورا بإظهار أبي سفيان ومعاوية الإسلام خوفا من السيف، مع ثبوت بقائهما على الكفر في أكثر من مناسبة) (2)

هذه مجرد نماذج عن إعراض السلفية عن تطبيق الآيات القرآنية الكثيرة على كفار قريش، حرصا على معاوية وأبيه وأمه وكبار المشركين الذين أظهروا إسلامهم، وأخفوا عداوتهم

1) بحث في إسلام معاوية، ص27.

2) بحث في إسلام معاوية، ص27.

للإسلام إلى أن جاءتهم الفرصة لينقلبوا عليه.. وللأسف خدع السلفية بذلك الإسلام الظاهر.. وتركوا أولئك الذين صدقوا في إسلامهم، وضحوا في سبيله، وباعوهم بالطلقاء.

2 ــ الإعراض عن الرجوع للسنة المطهرة في أحداث الفتنة

لم يكتف السلفية بالإعراض عن الآيات الكريمة الواضحة، والتي تبين حقيقة أولئك الأدعياء الذين انحرفوا بالدين، بل راحوا في تحد عجيب يردون أحاديث رسول الله ﷺ نفسها، ويؤولونها تأويلا عجيبا في سبيل أن يسلم لهم معاوية والفئة الباغية معه.

فقد وقفوا ــ سلفهم وخلفهم ــ موقفا سلبيا من كل الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي نصح بها رسول الله ﷺ أمته، وحذرها فيها من أن يحصل لها ما حصل للأمم من التحريفات، وهي من مقتضى الرسالة، ومقتضى حرص رسول الله ﷺ على أمته، إلا أن السلفية لا يلقون لهذا النوع من الأحاديث أي اهتمام، بل إن أحاديث الوضوء والغسل عندهم أهم من تلك الأحاديث..

فلذلك راحوا يتلاعبون بها، ويشككون في صحتها، ويؤولون ما لم يقدروا على تضعيفه.

وقد عبر عن ذلك التلاعب السلفي ابن القيم بقوله: (فيما صح في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش فمعاوية رضي الله عنه داخل فيه)[1]

ولست أدري كيف عرف أنه داخل في تلك المناقب.. وبأي حجة، وهل اطلع على اللوح المحفوظ أو على ما في قلب رسول الله ﷺ حين نطق بتلك المناقب.

ولكثرة ما ورد في معاوية والتحذير منه ومن الفتنة العظيمة التي أحدثها في الأمة نكتفي هنا بنقل بعض ما أورد

1) المنار المنيف (93).

الشيخ حسن بن فرحان المالكي من أحاديث وردت في كتب السنة المعتمدة، وهي لا تنطبق إلا على معاوية، وعلى الفئة الباغية التي اتبعته(1).

وهي أكثر من عشرين حديثا ألف الشيخ المالكي في آحادها الكتب والرسائل التي تدرس أسانيدها، وتذكر طرقها، وتبين مدى قوتها، وكيفية تلاعب السلفيين بها حرصا على إمامهم الذي يدل على بغيه وانحرافه وتحريفه كل شيء.

وقد قال بعد ذكره لها في بعض كتبه: (هذه عشرون حديثاً معطلة، عطلها حماة السنة ودعاتها.. وليس القرآنيون ولا المعتزلة.. عطلوها وتكتموا عليها، وتمنوا لو أن النبي ﷺ سكت، فلم يخبر بشيء ولم يحذر من شيء، وهذا نفاق، لأنه من التقدم بين يدي الله ورسوله، بل هو أسوأ، إن هذه الكراهية لبعض ما جاء به النبي ﷺ يحتوي على ناقضين من نواقض الإسلام العشرة التي أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لا لشيء إلا لأنها وردت في حق إمام عقائدهم وتاريخهم وشخصياتهم ومنهجهم وسلوكهم.. والحمقى يقصرون عن اكتشاف دوافع الدهاة وقوة مكرهم؛ فيقعون ضحايا تتساقط بسهولة أمام أقدام هؤلاء دهاة الطغاة، ويقدمون لهم الإسلام على طبق من ذهب، ليخدمهم في أي أمر أو نازلة)(2)

ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)، وهو متواتر(3).. ومثله

---

1) وقد جمعها في سلسلة بعنوان [سلسلة مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة]

2) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/26.

3) قال الشيخ حسن معلقا على هذا الحديث: (وهذا الحديث وضعت فيه كتاباً متوسطاً قد يتجاوز الأربع مائة صفحة، في طرقه وأسانيده ومواقف الناس منه، مع توسع في حرج النواصب منه ومحاولاتهم الكثيرة لإبطال معناه والرد عليها، وهو من دلائل النبوة الكبرى)

حديث (قاتل عمار وسالبه في النار)، وله أسانيد قوية، وقد صححه الألباني، ولا ريب أن من وضع الجائزة لمن يأتي برأس عمار ـ وهو معاوية ــ مشارك في القتل، بل هو أول داع له بسبب الحرب التي أعلنها على الإمام علي.

لكن السلفية مع وضوح هذا الحديث أولوه تأويلا عجيبا، بل جعلوه مغايرا تماما لتحذيره ﷺ والذي قصد به نصيحية الأمة حتى يكون عمار علامة تميز الفئة الباغية عن الفئة المحافظة على الدين الأصيل.

لقد قال ابن كثير ـ تلميذ ابن تيمية النجيب ــ في شرحه للحديث: (وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر ﷺ عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية، وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين، وعمار مع علي وأهل العراق.. وقد كان علي أحق بالأمر من معاوية.. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم، كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم، لأنهم، وإن كانوا بغاة في نفس الأمر، فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال، وليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب له أجران، والمخطئ له أجر)[1]

وهكذا حول ابن كثير ـ كما يفعل كل السلفية ــ الحديث عن مساره تماما، حيث زعموا أن لمعاوية وجيشه أجرا على تلك الحرب التي أقاموها في وجه الإمام علي.

وهكذا فعلوا مع تتمة الحديث: (يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)، فقد رد ابن كثير على هذا، فقال: (فإن عمارا وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر إمام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة، واختلاف الأمة، فهو لازم مذهبهم وناشئ

---

1) البداية والنهاية، (4/538).

عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه) (1)

ومن تلك الأحاديث الواضحة، والتي لا يمكن تأويلها أو التشكيك في ثبوتها قوله ﷺ: (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)(2)، وقد صححه الألباني، ولا شك في انطباقه على معاوية.. لأن يزيد كان تابعا لأبيه، ولم يأت بجديد.. وأوليات معاوية في تغيير السنن كثيرة جدا، وأولها وأعظمها تغيير نظام الحكم الإسلامي.. كما رأينا ذلك في هذا المبحث.

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته قوله ﷺ: (الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون الملك العضوض)(3)، وقد تلاعب السلفية بهذا الحديث بما شاءت لهم أهواؤهم، فرووا في نقضه أحاديث أخرى أقل منه درجة، لكنهم قدموها عليه، كما هو شأنهم في التلاعب بالنصوص.

ومنها هذه الرواية العجيبة التي تنطق ألفاظها بكذبها: (أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمة، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان) (4)

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته ما حدث به عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال: (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتى)، قال: وكنت تركت أبي قد وضع له وضوءا، فكنت

1) البداية والنهاية، (4/538).

2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (35866)، وابن أبي عاصم (63)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (1/132)، وابن عدي في الكامل (3/164)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (18/160)

3) سنن الترمذي: 4/436 ــــ سنن أبي داوود: 5/36، فضائل الصحابة- للامام أحمد بن حنبل ص 17، مسند احمد ج 5 ص 221.

4) رواه الطبراني

كحابس البول مخافة أن يجىء، قال: فطلع معاوية، فقال النبي ﷺ: (هذا هو)(1)

قال الشيخ حسن بن فرحان معلقا عليه: (وهو صحيح الإسناد وفق منهج أهل الحديث، إلا أن بعضهم إذا لم يلتزم بمنهجه الذي ارتضاه فهذا شأنه، كأي جماعة أو دولة، فإذا وضعت دولة لها قانوناً فيه معايير الفساد، ثم لا تطبقه على الفاسدين فهذا شأنها، ولا يعني أنهم غير فاسدين، والحديث قد روي بأسانيد على شرط الصحيح، في قوة الرجال والاتصال في السند، ورجاله كلهم رجال الشيخين، وأشهر طرقه طريق عبد الله بن عمرو بن العاص (وأرجح أنه أذاعه بعد موت معاوية وبعد توبته على يد الحسين بن علي بمكة في أواخر عهد معاوية)، وقد روي بأسانيد أقل صحة عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر، وله شواهد من طريق آخر عن ابن عمر (وبسبب ذلك هدد معاوية بقتل عمر)، ولو كان هناك إنصاف لكان من علامات النبوة) (2)

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته قوله ﷺ: حديث: (لعن الله الراكب والقائد والسائق)، فعن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس)، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية(3).

وقد قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي تعليقا عليه: (ورد في معاوية وأبيه وأخيه، وله طرق كثيرة جداً، أغلبها صحيح لذاته، وفق منهج أهل الحديث، بل قد يصل هذا الحديث للتواتر، فهو مروي من طرق سفينة والحسن بن علي والبراء

---

1) البلاذري في كتابه جمل من أنساب الأشراف (5 / 1978) وغيره.

2) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/17.

3) وقعة صفين:217.

بن عازب وعاصم الليثي وابن عمر والمهاجر بن قنفذ، وكل هذه الطرق صحيحة الأسانيد مع أقرار بعض أصحاب معاوية كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فالحديث يقترب من التواتر لأن الطرق كلها بين الصحيح والحسن، وسيتفاجأ هؤلاء الغلاة قطعاً بصحة الأسانيد، وإذا ضعفوها فأنا معهم بشرط أن نطرد ذلك، ثم ينظرون هل يبقى لنا حديث كثير بعد هذا التشدد) (1)

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته ما رواه سعيد بن عمرو بن العاص قال: كنت مع مروان وأبي هريرة في مسجد النبي ﷺ، فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: (هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش، فقال مروان: غلمة، قال أبو هريرة: (إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان)(2)

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان على الحديث بقوله: (والسؤال: يا ترى من هم هؤلاء الذين يكون هلاك الأمة على أيديهم، سواء الهلاك المادي أو المعنوي؟ فهل نقبت عنهم السلفية المحدثة لتعرف سبب بلاء هذه الأمة وهلاكها؟ هل اهتموا بهذا الحديث كما اهتموا بأسطورة عبد الله بن سبأ والفرق الضالة وذم العقل والرأي وغيرها من الأمور التي لم يحذر منها لا كتاب ولا سنة؟ كلا.. إذن فهذا نبي الله ﷺ يخبرنا بأصل الضلال والهلاك والبدعة والفتنة الذي أصاب هذه الأمة، وقال لنا بصراحة ووضوح ونصيحة تامة: إن سبب ذلك سفهاء من قريش يكون فساد وهلاك الأمة برمتها على أيديهم، ومع ذلك تجد السلفية المحدثة تذهب إلى أن الخطر الذي أدى إلى فساد الأمة هو عبد الله بن سبأ والعقل والمنطق والفلسفة والفرق الضالة وأهل الرأي والصوفية والشيعة والمعتزلة والجهمية...الخ! ولا يأتون على ذكر سفهاء قريش بحرف واحد)

---

1) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.

2) أحمد (2/324) والبخاري (4/242).

(1)

ثم راح يخاطب العقل السلفي الذي استهان بمثل هذه النصوص الخطيرة، وأعرض عنها إلى ما قاله سلفه الموالون للفئة الباغية، فقال: (على كل حال: ما زالت الفرصة قائمة، فادرسوا هذا الحديث.. وانظروا متى بدأ الملك العضوض، وهل كان له أثره على الفكر والدين والعقل والتدبر والعقل المسلم والنفسية المسلمة.. أم لا.. أو قولوا: إن رسول الله ﷺ لا يدري ما يخرج ما يقول، وأن سلفكم الصالح هو أعلم بمواطن الخطر وأنصح للأمة من رسول الله ﷺ، وإن قلتم حاشا وكلا أن نقول ذلك، فأريحونا من كتمنا وإفسادنا وإهلاكنا بمنهج هؤلاء الأمراء السفهاء الذين أخبر الصادق المصدوق بأن فساد الأمة على أيديهم، ليس هناك طريق ثالث، إما أن تقولوا بأنكم أعلم من رسول الله بهذا الفساد والهلاك من أين أتى، وإما أن تقروا بأن سلفكم خدعكم بتصوير الخطر في مكان آخر، وصرفكم عن وصية رسول الله، حتى أن أحدكم لو ُسئل عن مكمن البلاء الأول لخرجتم بخمسين جواباً خاطئاً وعشرين جواباً فرعياً، وتركتم السبب الأصلي الذي تفرعت عنه كل الأمراض، كل هذا بسبب هذا الإعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التي تخرجوننا منها في اليوم عشر مرات، ثم إن اختبرناكم بمثل هذا الحديث لم نجد أحداً من سلفكم صنف كتاباً في سفهاء قريش، ولا حاول معرفتهم، بينما هناك المئات وربما الآلاف من المؤلفات التي تعيد أسباب فساد الأمة وهلاكها إلى أمور معظمها باطل، وقد يكون بعضها ثانوياً، وإن أصابوا في القليل الثانوي فما هو إلا نتيجة طبيعية للبلاء الأصلي الذي أهملتموه تماماً حماية لهؤلاء السفهاء، أو لأنكم أنتم جزء من هذا الفساد القديم، ونتيجة طبيعية له، فأنتم من حمل الفساد على ظهوركم وتجشتم إصعاده إلى قمة الدين فسال دينكم فساداً وجهلاً وظلماً، وبقي دين الله محفوظاً في القمة في مكان لم تهتدوا إليه) (2)

---

1) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته الأحاديث الداعية لاعتزال الفئة الباغية، وعدم التعاون منها، ومنها قوله ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يهلك الناس هذا الحى من قريش)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم؟)(3)

وهذا الحديث مع أحاديث أخرى دلاله منه ﷺ على كيفية التعامل مع الفئة الباغية بعد أن يتحقق نصرها على الفئة المؤمنة الصادقة، وهي القيام بنوع من العصيان المدني تجاهها حتى لا يمتد تأثيرها لباقي شؤون الحياة، بعد أن امتد للسياسة والاقتصاد.

لكن السلفية للأسف لم يلقوا لهذا الحديث بالا، بل راحوا ينشرون فضائل تلك الفئة، ويدافعون عنها، ويتقربون إليها.

يقول الشيخ حسن المالكي تعليقا على الحديث: (لكن أكثر الأمة لم يعتزلوهم، بل أعانوهم وسوغوا لهم، ووضعوا في فضائلهم الأحاديث ودخل هذا الذم الصحيح مع ذلك الوضع القبيح في كتب الصحيح! وهنا يتم إفساد حديث بحديث! واضطربت معالم الدين وأوامر الشريعة، وهذا نتيجة طبيعية للحلف بين الغفلة والظلم، فلو أن سلفكم اعتزل الظالمين من سفهاء قريش (الأمراء) كما أوصى هذا الحديث لأمكن الإبقاء على الدين صافياً عند العلماء والفقهاء والصالحين، بلا خشية من تأثير السلطة ولا انتقاء ولا بتر ولا تحريف فضلاً عن الوضع الذي يشهد الدين والعقل والواقع ببطلانه، أنتم يجب أن تعترفوا بأن عقولكم صغار، ولذلك رحمكم الشرع وأمركم بأمر كالاعتزال لأن الشرع يعرف أن الإنسان خلق ضعيفاً، لكنهم قلتم: لا.. لن نخشى في الله لومة لائم، ولن يستطيعوا إضلالنا، فوكلكم الله إلى أنفسكم فضللتم بضلالهم وظلمتهم بظلمهم

2) دراسة مفصلة حول حديث الدبيلة، ص64.

3) صحيح البخاري: 4 / 242)

وأفسدتم بإفسادهم وأهلكتم بهلاكم، ومن ترك التوكل على الله وتنفيذ أوامره حرفياً وكله الله إلى نفسه، فكان الهوى إليه أقرب والضعف به ألصق)(1)

وقد رد الشيخ حسن على كل الاحتمالات التي قد يؤول بها الحديث، فقال: (وهذا الحل النبوي لاعتزال سفهاء قريش وظلمتهم لم يكن المقصود به منافقي الأنصار قطعاً، لأن نص الحديث ينص على قريش، ولا يراد به كفار قريش المقتولين ببدر قطعاً لأن التحذير مستقبلي، وعن سفهاء قريش لا كفارها، فإذا قلنا بعدالة الخلفاء الأربعة في الجملة – مع أن الحاكم الفعلي أيام عثمان كان معاوية- فلم يبق إلا سفهاء بني أمية ومعاوية أولهم، فالبلاء من هنا يبدأ، من سفهاء قريش الذين يهلكون الأمة ديناً ودنيا، من تبديل السنن وتعطيل معالم الدين وأحكام الشريعة وسن الملك العضوض، فهل جاء التحذير الخاص منهم على لسان أحرص الأمة وأدلها على أبواب السلامة؟ الجواب نعم، ولكن أهل الرواية بعد أن هجروا كتاب الله حملوا الأحاديث على ظهورهم كبني إسرائيل.. فلا يمعنون في معنى الحديث الصحيح، ولا يهتدون لعلل الحديث الضعيف، وهذا مرجعه إلى هجر الكتاب وضعف العقل وألفة السائد من المعايير والأفكار)(2)

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته ما يسمى [حديث الدبيلة]، وقد رواه مسلم في صحيحه، وفيه ـ كما يذكر حسن بن فرحان ـ (إشارة واضحة لنفاق معاوية، ولا يعرف هذا إلا من تدبر الحديث بهدوء، فقد قاله عمار وهو متجه إلى قتال أهل الشام جواباً على قيس بن عباد، والحديث يفيد التخليد في النار، لأن فيه (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)..وهو رأي راوي الحديث عمار بن ياسر، وبه احتج وهو

---

1) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 2/81.

2) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 2/83.

منطلق لقتال معاوية) (1)

ونص الحديث كما روي في (صحيح مسلم) عن أبي نضـرة عن قيس قال: قلتُ لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صـنعتم في أمر علي: أرأيـاً رأيتمـوه أو شـيئاً عهـده إليكم رسـول اللـه ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينـا رسـول اللـه ﷺ شـيئاً لم يعهـده إلى النـاس كافة ولكن حذيفـة أخـبرني عن النـبي ﷺ قـال: قـال النـبي ﷺ: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمـل في سـم الخيـاط، ثمانيـة منهم تكفيكهم: الدبيلـة، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم) (2)

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم، قـال رسـول اللـه ﷺ: (في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يـدخلون الجنـة ولا يجـدون ريحهـا حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانيـة منهم تكفيكهم: الدبيلـة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم)

وقـد روي الحـديث بروايـات أخـرى سـبب ورود الحـديث، وكون معاوية من المنافقين الذين همـوا بقتـل رسـول اللـه ﷺ، فعن حذيفة قـال: كنت آخـذاً بزمـام ناقـة رسـول اللـه ﷺ أقـود وعمار يسوق أو عمار يقود وأنا أسوق به إذ استقبلنا اثنـا عشـر رجلاً متلثمين قال: هؤلاء المنافقون إلى يـوم القيامـة، قلتُ: يـا رسول الله ألا تبعث إلى كل رجل منهم فتقتله؟ فقال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وعسى يكفينيهم الدبيلـة، قلنا: وما الدبيلة؟ قـال: شـهاب من نـار يوضـع على نيـاط قلب أحدهم فيقتله) (3)

وقــد ثبت تاريخيــا ومن خلال مصــادر الســنة أن معاويــة معاوية أصيب بالدبيلة، ومات بهـا، ومن تلـك الروايـات مـا روي

1) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/18.

2) صحيح مسلم)4/2143

3) رواه الطبراني في (الأوسط)، (مجمع الزوائد)1/109-111

عن أبي بردة بن أبي موسى قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان وبه قرحة بظهره وهو يتأوه منها تأوهاً شديداً فقلت: أكل هذا من هذه؟ فقال: ما يسرني أن هذا التأوه لم يكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يصيبه أذى في جسده إلا كان كفارة لخطاياه) وهذا أشد الأذى) (1)

والسلفية يذكرون بفخر عظيم ما ذكره معاوية من الأجر المرتبط بالمرض، وينسون حديث حذيفة وعمار، وأصحاب الدبلية الذين أخبر رسول الله ﷺ بنفاقهم.

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته حديث عبادة بن الصامت في أمراء السوء الذين حذر منهم النبي ﷺ وقسم عبادة أن معاوية منهم، وهو ما رواه إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، أن عبادة بن الصامت، قام قائما في وسط دار أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ محمدا أبا القاسم يقول: (سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم، فوالذي نفسي بيده، إن معاوية من أولئك)، فما راجعه عثمان حرفا)(2)

---

1) المعجم الأوسط) للطبراني6/78

2) رواه الحاكم (3/401، 402) والشاشي (3/172) والبزار (7/164) ثم أحمد في المسند (8/415) – مع بتره- قال الشيخ حسن: (قد تبرع بعض المحدثين كأحمد فحذف أول الحديث –قصة بقر روايا الخمر- وحذف آخره (قول عبادة: والله إن معاوية لمنهم)!! وهذه من أخطاء أحمد – وعلى منهجه شيخه سفيان بن عيينة وتلميذه البخاري لكن أهل الجرح والتعديل لا يتكلمون!- وهؤلاء المحدثون يحذفون من الحديث مايخالف عقيدتهم! فكل ما يخشون أنه قدح في فلان أو فلان! أو ما يخشون أن يحتج به عليهم المخالفون، حذفوه أو بتروه وهم يعترفون بهذا ولا يرون في ذلك ضرراً، فمن يجرؤ على تضعيفهم؟ وقد صرح أحمد في هذا الحديث بالحذف –حذف قصة الخمر- عندما قال)فذكر الحديث)-!! فهو يلمح إلى أن الحديث معروف عند أهل الحديث لكنه تحرج من إيراد هذا) [مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/146.]

وقد علق عليه الشيخ حسن المالكي بقوله: (وسنده حسن، وعبادة بن الصامت بدري كبير، ليس من الطلقاء ولا الأعراب ولا المنافقين حتى نتهمه في روايته أو تفسيره للحديث، وعلى كل حال فإذا لم يكن فهمه لهذا الحديث من فهم السلف الصالح فأين سنجد فهم السلف الصالح؟ والحديث رواه الشاشي في مسنده والحاكم في المستدرك كاملاً ورواه أحمد مبتوراً) (1)

ومن تلك الأحاديث التي تحذر من معاوية وفتنته حديث (معاوية فرعون هذه الأمة)

ومن رواياته ما رواه الخلال وغيره عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة معاوية بن أبي سفيان)(2)

ومنها ما رواه نصر بن مزاحم عن عبد الله بن عمر قال: (ما بين تابوت معاوية وتابوت فرعون إلا درجة، وما انخفضت تلك الدرجة إلا أنه قال: (أنا ربكم الأعلى)(3)

ومنها ما رواه الأصبهاني عن أبي ذر قال: قلت لمعاوية، أما انا فأشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدنا فرعون هذه الأمة، فقال معاوية: أما أنا فلا(4).

وغيرها من الروايات التي خصها الشيخ حسن المالكي بدراسة مهمة ذكر فيها طرق الحديث وأسانيده، وكيف تلاعب

---

1) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/20.

2) المنتخب من علل الخلال: 1/32.

3) وقعة صفين: ج 1 / ص 211.

4) أخبار أصبهان (ج7/ص40)، وهذا تعريض من أبي ذر بمعاوية، وقد كذب معاوية عندما قلب الحديث إلى ابي ذر، فهو يعلم أن ابى ذر أبعد عن أن يكون فرعون هذه الأمة.

السلفيون في القديم والحديث به، ومما جاء في مقدمته قولـه: (هل لهذه الأمة فرعون؟ أتت الأحاديث السـنية بـرجلين، وردت في كل منهما أحاديث بأنه فرعون هـذه الأمـة، وهمـا أبـو جهـل ومعاوية، إلا أن الحديث في أبي جهل ضـعيف منقطـع ولا واقـع له من حيث السلطة والجنود والسـحرة، والحـديث في معاويـة صحيح الإسناد ويدعمه الواقع من حيث الملك والجنود والسحرة والاضطهاد وتفريق الأمة شـيعاً.. وكـان حـديث معاويـة متـداولاً يعرفه خواص أهل العلم في الوسط السني إلا شهرته تذبل مـع الزمن حـتى كـانت النكبـة الثقافيـة الأخـيرة في عهـد المتوكـل العباسـي، فأضـاعت كثـيراً من الأحـاديث والأحـداث المتداولـة قبلها، حتى أصبح مشهورها غريباً، فالمرحلـة المتوكليـة نصـرت الشق الناصبي في أهل السنة وكـان قليلاً إلى أبلـغ حـد ممكن، وكانت نتيجة هذه المرحلة المتوكلية أن قادت السلفيةُ المحدثـةُ أهلَ السـنة إلى الانغلاق والتقوقـع والتعصـب الشـديد والتكفـير والتصنيف، مـع عمليـات هائلـة من العبث بالحـديث من الإخفـاء للأحاديث غـير المرغـوب فيهـا والبـتر لهـا وتحريفهـا وتقويـة مـا يضادها ولو كان موضوعاً)(1)

وقال في موضع ذاكرا مدى قوتـه، وكيـف حـاول السـلفية تحريفه وتجاهله: (وهو من حديث أبي ذر، وله شاهد من حـديث ابن عمر من ثلاث طـرق عنـه، وأسـانيده صـحيحة في الجملـة، وهي أصـح من تلـك الـتي في أبي جهـل على الأقـل، مـع تـوفر الدواعي على كتم الأولى ونشر الثانيـة، ثم لـه شـواهد كحـديث التابوت والموت على غير الملة والدعوة إلى النار.. وكل مثالب معاوية تشهد لبعضها، كلها نفاق وبغي ونار وظلم وفرعنة.. وقد حـاول بعض أهـل الحـديث زحلقـة هـذا الحـديث إلى أبي جهـل والسـند في ذلـك منقطـع، وأبـو جهـل لا يشـبه فرعـون لا في سلطانه ولا سحرته! وليس له أثر في الأمة، إنمـا ذلـك معاويـة، خاصـة مـع صـحة الأسـانيد في ذلـك، ويمكن للتحقـق من ذلـك استعراض الآيات التي تحدثت عن فرعون، ثم النظر في سـيرة معاوية، وسيندهش المتدبر، ولا يمنـع السـلفية من التصـحيح إلا

---

1) دراسة حديثية موسعة لحديث (معاوية فرعون هذه الأمة)، ص5.

ألفتهم للمألوف ووحشتهم من الغريب، مع اعترافهم بأن الحــق سيعود غريباً مـع غربـة الإسـلام نفسـه، فالغربـة قـد تكـون من معايير الصحة وليس العكس، وقد فهم النواصـب هـذا الحـديث في معاويــة، فلــذلك حــاول بعضــهم معارضــته وتشــبيه علي بفرعون بدلاً من معاوية؛ كما فعل ابن تيمية(1)وهذه طريقة ابن تيمية، فكل الأوصاف التي عاب بها علياً في منهـاج السـنة إنمـا وجدها وتحقق أنها في معاوية، فلـذلك أراد قطـع الطريـق على من تسول له نفسه اتهام معاوية، بتهديـده بـأن هـذا الوصـف أو ذاك أقــرب إلى علي بن أبي طــالب، فــآذن اللــه بالمحاربــة كمعاوية، حاربه معاوية بالسيف بـدعوى دم عثمـان وحاربـه ابن تيمية بالقلم بـدعوى السـلفية، والاثنـان من الـدهاة، أخـذ الأول أكـثر الأمـة في القـرون الأولى، وأخـذ الثـاني نصـف الأمـة في القرون الأخيرة! فإذا كـان هـذا دهـاء الفقيـه - الـذي ليس معـه دولة - وهو ابن تيمية في محاربة الإمـام علي، وقـد أخـذ نصـف الأمة معه، فكيـف بـدهاء المنـافق الـذي بيـده الدولـة وعلمائهـا وقصاصها وجيوشها؟ لا بد أن يكـون أثـره كبـيراً جـداً عنـد أكـثر الأمة ولو بمستويات متفاوتة)(2)

هذه بعض الأحـاديث الـتي وردت في شـأن معاويـة، تحـذر منه، وتبين خطورة التحريف الذي جاء به.. وهي أحاديث متفقـة تماما مع حرص رسول الله ﷺ على هذه الأمـة، ومن العجب أن يهتم السلفية بأحاديث التحذير من الدجال، ويبـالغون فيهـا وفي الكثير من الأساطير المرتبطة بهـا، بينمـا يتغـافلون على أمثـال هذه الأحاديث التي ترتبط بالدين نفسه، وبالقيم النبيلة التي جاء بها.

ونحن لا نقول لهم: هذه الأحاديث صحيحة جميعا.. ولا أنهــا صحيحة رغم أنـوفكم.. ولكن نـدعوهم إلى تـرك ذواتهم، وعـدم التقديم بين يدي الله ورسوله، والتعامل مع هذه الأحاديث بمثل

---

1) منهاج السنة (4/ 292)

2) مثالب معاوية في الأحاديث الصحيحة: 1/20.

ما يتعاملون به مع أحاديث التجسيم وتدنيس الأنبياء التي يدافعون عنها، وسيرون أن هذه الأحاديث أكثر قوة وواقعية فكل شيء يدل عليها.

3 ـ الإعراض عن الرجوع للصحابة السابقين في أحداث الفتنة:

من أكبر الدلائل الدالة على كون السلفية من الفئة الباغية، وأن أئمتهم هم أئمة الفئة الباغية إعراضهم عن النصوص الكثيرة الواردة عن الصحابة الكبار من الذين أعلنت عليهم الفئة الباغية الحرب.

وهي نصوص موجودة في كتب السنة والتاريخ، ولا يمكنهم تجاهلها، ولا تجاهل أصحابها، لأنهم من الصحابة الكبار الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها من أجلهم.. لكنهم عندما يخالفونهم في أهوائهم يضربون بأقوالهم عرض الحائط.

وسنقتبس هنا بعض النماذج عن ذلك، لنرى مواقفهم حوله، ونرى هل يرجع السلفية حقيقة في الجرح والتعديل للصحابة والتابعين.. أم أنهم يؤثرون أهواءهم عليهم.. فيقدمون قول ابن بطة وابن معين على أقوال عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهما؟

ونحن ندعوهم من خلال هذه الآثار والنصوص إلى تطبيق أحكامهم على هؤلاء الصحابة الأجلاء، ليخرجوهم من أهل السنة بسبب موقفهم من معاوية كما أخرجوا سيد قطب والغماري والعقاد وغيرهم.

فمن الصحابة الكبار الذين وردت الأحاديث في فضلهم وصدقهم وسبقهم عمار بن ياسر.. وقد وردت عنه في كتب السنة الروايات الكثيرة التي لا تكتفي بتجريم معاوية فقط، وإنما تتهمه بالكفر والنفاق.

ومن تلك الآثار ما رواه الطبراني عن سعد بن حذيفة بن اليمان قال: قال عمار بن ياسر يوم صفين، وذكر أمرهم وأمر

الصلح فقال: (والله ما أسلموا، ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعواناً أظهروه) (1)

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان على هذا الحديث الخطير بقوله: (السند صحيح على شرط الشيخين إلا سعد بن حذيفة بن اليمان وهو تابعي كبير ثقة، بل يحتمل أن له صحبة.. فالسند صحيح ورجاله كلهم ثقات سمع بعضهم من بعض.. وعنعنة الأعمش في الصحيحين، وهذا القول قاله عمار بن ياسر يوم صفين، ومعناه واضح؛ فعمار بن ياسر ميزان تلك الحروب يقسم بالله أن معاوية وأمثاله من رموز أهل الشام لم يسلموا يوم فتح مكة، وإنما استسلموا وخضعوا حتى يجدوا على الحق أعواناً، وله شاهد من حديث ابن عمر في قصة التحكيم: (أولى بهذا الأمر من ضربك وأباك على الإسلام حتى دخلتم فيه كرهاً) واصله في صحيح البخاري، ويدل على هذا القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] وأمثالها من الآيات التي ستتناول رؤوس الكفر أكثر من تناوله عوامهم، عدل الله يقول هكذا)(2)

ومنها أن عمار بن ياسر قال: (يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما فلما أراد الله أن ينصر دينه وينصر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم وهو الله فيما يُرى راهب غير راغب وقبض رسول الله ﷺ وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم! ألا وإنه معاوية فالعنوه لعنه الله وقاتلوه فإنه ممن يطفي نور الله ويظاهر أعداء الله)(3)

---

1) رواه الطبراني في الكبير، ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه المسمى تاريخ ابن أبي خيثمة: 2 / ـ 991)، وانظر: الهيثمي في مجمع الزوائد (1/118)

2) بحث في إسلام معاوية، ص67.

3) نصر (ص213)، تاريخ الطبري: 3 / 82)

ومنها ما رواه أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة والإمام أحمد في المسند، والبلاذري في الأنساب، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: (والذي نفسي بيده لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة)(1)

ومنها ما رواه البلاذري عن عبد الله بن سلمة، قال: كنا عند عمار بصفين وعنده شاعر ينشده هجاء في معاوية وعمرو؛ وعمار يقول له: الصق بالعجوزين فقال له رجل: أيقال الشعر عندكم ويسب أصحاب رسول الله ﷺ ويسب أصحاب بدر؟! فقال: (إن شئت فاسمع، وإن شئت فاذهب، فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه، فالله سابهما وكل مسلم، وإنه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: قولوا لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة) (2)

ومن تلك الروايات، وهي تدل على شخصية عمار الذي رباه رسول الله ﷺ على يده وكان من نجباء أصحابه، ومن التلاميذ الصادقين للنبوة، ما حدث به عبد الملك بن أبي حرة الحنفي، أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: (اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهرت

---

1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج 7 / ص 175): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة، وقال البوصيري في كتابه: (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) (ج 8 / ص 5): رواه أبوداود الطيالسي وأبو يعلى وأحمد بن حنبل بسند صحيح.

2) أنساب الأشراف: 1 / 328)

لفعلت، وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لـك من جهـاد هـؤلاء الفاسـقين، ولـو أعلم أن عملاً من الأعمـال هـو أرض لـك منـه لفعلته)(1)

ومن تلـك الروايـات الـتي يتسـتر عليهـا السـلفية أحبـاب معاوية، وأنصار الفئة الباغية، هذه الرواية الخطيرة الـتي تصـور واقع الثورة المضادة التي قام بها معاوية، ووعي السـابقين من الصحابة لذلك.

فقد حدث أسماء بن الحكم الفزارى قال: كنـا بصـفين مـع على بن أبى طالب تحت راية عمار بن ياسر، ارتفـاع الضـحى - استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يسـتقرى الصـف حـتى انتهى إلينـا فقـال: أيكم عمـار بن ياسـر؟ فقـال عمـار بن ياسـر: هـذا عمار. قال: أبـو اليقظـان؟ قـال: نعم. قـال: إن لى حاجـة إليـك فأنطق بها علانية أو سرا؟ قـال: اخـتر لنفسـك أي ذلـك شـئت. قال: لا، بل علانيـة. قـال: فـانطق. قـال: إني خـرجت من أهلي مستبصراً في الحق الـذى نحن عليـه لا أشـك في ضـلالة هـؤلاء القوم وأنهم على الباطـل، فلم أزل على ذلـك مستبصـراً حـتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينـا فشـهد ألا إلـه إلا الله وأن محمـدا رسـول اللـه، ونـادى بالصـلاة، فنـادى منـاديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعـوة واحدة، وتلونا كتابا واحدا، ورسـولنا واحـد، فـأدركني الشـك في ليلتي هذه، فبت بليلـة لا يعلمهـا إلا اللـه حـتى أصـبحت، فـأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعـه، فجئتـك لـذلك. قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتى فإنهـا راية عمرو بن العاص، قاتلتهـا مـع رسـول اللـه ﷺ ثلاث مـرات، وهـذه الرابعـة مـا هي بخـيرهن ولا أبـرهن، بـل هي شـرهن وأفجرهن، أشهدتَ بدرا وأحدا وحنينا أو شهدها لك أب فيخـبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول اللـه ﷺ يـوم بـدر، ويـوم أحـد، ويـوم حـنين، وإن هـؤلاء على مراكـز

---

1) تاريخ الرسل والملوك: ج 3 / ص 96)

رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقا للذي نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته، والله لدماؤهم جميعا أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراما؟ قال: لا، بل حلال، قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لى، قال: فاختر أي ذلك أحببت. قال: فانصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقذى عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل، وأيم الله لا يكون سلما سالما أبدا حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل(1).

هذه الرواية الخطيرة التي يصدقها كل شيء تدل على موقف السابقين الصادقين من الصحابة من الفتنة التي أحدثها معاوية ومن معه من الفئة الباغية، وأنها لم تكن قاصرة على موقف سياسي أو على مطالب بسيطة، وإنما كان الهدف منها تحريف الدين وتغييره تماما.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ما ذكره عمار بن ياسر في الحديث المشهور الذي أخبر فيه عن قتال الإمام علي لمن يريدون تحريف القرآن الكريم، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي، فقال: (إن منكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله)، قال أبو بكر: أنا، قال: لا، قال عمر: أنا، قال: (لا، ولكن خاصف

---

1) نصر بن مزاحم في كتابه في وقعة صفين: ج 1 / ص 320)

النعل) (1)

وفي رواية عن أبي سعيد قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ، فانقطع شسع نعله، فتناولها علي يصلحها، ثم مشى، فقال: إن منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، قال أبو سعيد: فخرجت فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فلم يكبر به فرحا، كأنه قد سمعه(2).

ونحب أن ننبه هنا إلى أنه لا تناقض بين هذه الروايات وبين ما روي من عدم تكفير عمار بن ياسر لأهل الشام الذين حاربوا الإمام علي(3)، لأن الكثير منهم كان من المغرر بهم، والجمع بينهما سهل يسير.

قال الشيخ حسن بن فرحان المالكي بعد إيراده لكلا النوعين من الروايات: (ولا تعارض هنا بين اتهام معاوية وأمثاله من الرموز ممن يقصدهم عمار وتفسيق عامة أهل الشام وظلمهم، ومن توهم التعارض قدمنا الأصح عن عمار وهو الحكم على هؤلاء بأنهم استسلموا ولم يسلموا قط.. لكن بالتفصيل يصح الأمر لأن في جيش أهل الشام المغرر به والأحمق ودليل ذلك إن بعضهم لحق بعلي عندما تبين له الحق) (4)

---

1) تهذيب الخصائص ص 88.

2) فضائل الصحابة للإمام أحمد: 2 / 627، وانظر: مسند الإمام أحمد 3 / 82، المستدرك للحاكم 3 / 122.

3) ومن تلك الرويات ما ورد في مصنف ابن أبي شيبة (8/722) عن زياد بن الحارث قال: كنت إلى جنب عمار بن ياسر بصفين، وركبتي تمس ركبته، فقال رجل: كفر أهل الشام، فقال عمار: لا تقولوا ذلك نبينا ونبيهم واحد، وقبلتنا وقبلتهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق، فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه.

4) بحث في اسلام معاوية، ص85.

ونحب أن ننبه كذلك إلى أن أحاديث عمار الكثيرة في معاوية وموافقة كبار الصحابة بما فيهم الإمام علي عليها، يدل على ما يسميه السلفية إجماعا سكوتيا.. وذلك لعلم الصحابة بكون رسول الله ﷺ اعتبر عمارا علامة مميزة بين الفئة الصادقة المحافظة على أصالة الدين والفئة الباغية صاحبة الثورة المضادة.

ويدل على ذلك ما ما حدث به أبو عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم(1).

وقد علق الشيخ حسن المالكي على الحديث بقوله: (والسند صحيح على شرط الشيخين، وعلى هذا فقد كان على رأي عمار ثمانون من أهل بدر وثمانمائة من أصحاب بيعة الرضوان، وهذه السلفية العتيقة، لا تقاومها سلفية ابن عمر ولا غيره، مع أن ما ثبت عن المعتزلين وهم قلة سعد وابن عمر يتفق مع علي وعمار وقد ندم المعتزلون وأبرزهم سعد وابن عمر، مع أن ابن عمر ليس بدرياً.. إلا أن السلفية المحدثة غلت فيه بسبب حرصه على بيعة يزيد وتردده في بيعة علي وهذه من أخطائه رحمه الله وسامحه.. إلا أنهم لا ينقلون ندمه على ترك القتال مع علي، ولا تحديثه بحديث لعن معاوية ولا تهديد معاوية له بالقتل إن روى مثل هذه الأحاديث)(2)

ومن الصحابة الذين روي عنهم مثلما روي عن عمار بن ياسر سعيد بن زيد بن عمرو، وهو ممن يعتبرهم السلفية أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد حدث محارب بن دثار قال: كان مروان على المدينة، فأمر الناس أن يبايعوا ليزيد وأرسل إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أهل الشام يدعوه إلى البيعة، قال: فخرج رجل أشعث أغبر رث الهيئة فقال: (يأمرني مروان

1) الاستيعاب: ج 1 / ص 352)

2) بحث في إسلام معاوية، ص86.

أن أبايع لقوم ضربتهم بسيفي حتى أسلموا ولكن استسلموا فقال أهل الشام مجنون) (1)

وفي رواية أن معاوية كتب إلى مروان بالمدينة يبايع لابنه يزيد، فقال رجل من أهل الشام ما يحبسك؟ قال حتى يجئ سعيد بن زيد فيبايع فإنه سيد أهل البلد إذا بايع بايع الناس قال: أفلا أذهب فآتيك به، قال: فجاء الشامي وأنا مع أبي في الدار قال: انطلق فبايع قال: انطلق فسأجئ فأبايع فقال: لتنطلقن أو لأضرب عنقك قال: (تضرب عنقي؟ فوالله إنك لتدعوني إلى قوم أنا قاتلتهم على الإسلام، قال: فرجع إلى مروان فأخبره، فقال له مروان: اسكت(2).

ومن الصحابة الذين روي عنهم مثلما روي عن عمار بن ياسر عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة، ونوساتها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فم يجعل لي من الأمر شيء. فقال: الحق، فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب. فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجميع، وتسفك الدم، وتحمل على غير ذلك. فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت(3).

والحديث واضح وصريح، وفوق ذلك هو في صحيح

---

1) تاريخ دمشق: ج 21 / ص 89)

2) تاريخ دمشق: ج 21 / ص 88)

3) صحيح البخاري: (1 / 2025)

البخاري، وفوق ذلك كله نرى معاوية فيه كيف يتهجم على كبـار الصحابة من أمثال عمر وابن عمر، بل يرى نفسه أولى بـالحكم منهم.

وقد قال الشيخ حسن المـالكي تعليقـا على الحـديث: (لا أدري لماذا لا تغضب السلفية المحدثـة لعمـر بن الخطـاب هنـا، فمعاوية يرى نفسه أولى من ابن عمر ومن عمـر بالخلافـة، بـل إن كانت القصة في المدينـة لأجـل بيعـة يزيـد – كما في ألفـاظ أخــرى- فمعاوية يــرى يزيد بن معاوية أولى من عمر وابن عمر بالخلافة، وهذا انتقاص شديد من معاوية لعمر بن الخطاب الذي ولاه وأحسن الظن به، سواء أكان يرى نفسه أولى من عمــر أو كان يرى ابنه يزيد أولى من عمر.. ومع ذلك لا يحرك النواصــب ساكناً عند هذا الحديث الذي هو في صحيح البخـاري، وليس في روايات شيعة ولا معتزلة)(1)

ومن الصحابة الـذين روي عنهم مثلمـا روي عن عمـار بن ياسر الإمام علي الذي تجاهل السلفية كـل أحاديثـه في الفتنـة، بل وضعوه مـع الطلقـاء وأهـل البغي في محـل واحـد، وكأنهمـا خصمان متساويان متعادلان.

بـل نـراهم يفضـلون معاويـة عليـه حين يرمـون بالكـذب والبهتان كل من يتحدث بفضائل الإمـام علي، أو كـل من يـروي أحاديثه وينقل خطبه، باعتباره شيعيا، بينما لا يتهمـون بـذلك من كان مع معاوية وفي المعسكر المعادي للإمام علي.

ولذلك نراهم يتهمـون كـل من يـروي مثـل هـذه الأحـاديث الواردة عنه في الفتنـة بكونـه شـيعيا، ومعـنى كونـه شـيعيا في التحقيـق التـاريخي هـو كونـه كـان في جيش الإمـام علي في صفين أو قبلها أو بعدها، وهل يمكن عقلا أن يروي أحد أحـاديث الإمـام علي، وهـو لم يكن معـه في جيشـه؟ وهـل يمكن لأهـل الشام الذين ملأ معاوية قلوبهم حقدا على الإمام علي أن يرووا مثل تلك الأحاديث.

______

1) بحث في إسلام معاوية، ص90.

ولهذا سنذكر هنا ما ورد من روايـات عنـه في كتب السـنة وغيرها، ولا يهمنـا الموقـف السـلفي الـذي لا يطمئن إلا لأولئـك الرواة الذين وثقتهم الفئة الباغية، ومن سار في صفها.

فمن تلك الروايات قول الإمام علي: (انفـروا بنـا إلى بقيـة الأحزاب، انفروا بنا إلى ما قال الله ورسـوله، إنـا نقـول: صـدق الله ورسوله، ويقولون: كذب الله ورسوله)(1).

ومنها قوله: (انفروا إلى كذا، انفروا إلى بقية الأحـزاب إلى من يقول: كذب الله ورسوله ونحن نقول: صدق الله ورســوله) (2)

ومنها قوله: (والذي فلق الحبـة وبـرأ النسـمة مـا أسـلموا، ولكن استسلموا وأسروا الكفر، فلما وجـدوا أعوانـا رجعـوا إلى عداوتهم منا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة) (3)

ومنها هذه الرواية الخطيرة التي تبين سنة الله في حصول الثورات المضادة بعد الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام، وفيهـا أن رجلا جاء إلى على فقال: يا أمير المؤمنين، هـؤلاء القـوم الـذين نقاتلهم: الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحـدة، والحج واحد فبم نسميهم؟ قال: تسميهم بمـا سـماهم اللـه في كتابـه. قال: ما كل ما في الكتاب أعلمه. قال: (أما سـمعت اللـه قـال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَـعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـاتٍ وَآتَيْنَـا عِيسَـى ابْنَ مَـرْيَمَ الْبَيِّنَـاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِـرُوحِ الْقُدُسِ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَـا اقْتَتَـلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْـدِهِمْ مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُـوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَـرَ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَـا اقْتَتَلُـوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَـلُ مَـا يُرِيـدُ﴾ [البقـرة: 253]، فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبــالنبي

---

1) مسند البزار (2 / 191)

2) السنة لعبد الله بن أحمد: ج 3 / ص 253)

3) وقعة صفين (ص215)

وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى، بمشيئة الله ربنا وإرادته)(1)

ومنها كتاب كتبه إلى معاوية يقول فيه: (أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الاسلام كله لرسول الله ﷺ حربا) (2)

ومن خطبة له يوم صفين في حواره مع وفد معاوية: (ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم، فقالوا لي: بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك!، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عز وجل ولرسوله ص وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين، فلا غرو إلا خلافكم معه، وانقيادكم له، وتدعون آل نبيكم ص الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحدا ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ص وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مومن ومؤمنة، ومسلم ومسلمه) (3)

ومن كتاب له إلى معاوية: (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبوسفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن

---

1) وقعة صفين: ج 1 / ص 322)

2) شرح نهج البلاغة: 17 / 250)

3) تاريخ الطبري (5/ 8)

كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هـوى في نـار جهنم..) (1)

ومن الصـحابة الـذين روي عنهم مثلمـا روي عن عمـار بن ياسر الحسن بن علي سبط رسول اللـه ﷺ وسـيد شـباب أهـل الجنة، فقد وردت الروايات الكثيرة عنه، والتي تدل على موقفه من معاوية، ومن الفئة الباغية معه، ومنها ما رواه حبيب بن أبي ثابت، قال: لما بويع معاوية خطب فذكر عليا، فنـال منـه، ونـال من الحسـن، فقـام الحسـين لـيرد عليـه فأخـذ الحسـن بيـده فأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر عليا، أنا الحسـن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صـخر، وأمي فاطمـة، وأمـك هنـد، وجـدي رسول الله ﷺ، وجـدك حـرب، وجـدتي خديجـة، وجـدتك قتيلـة، فلعن الله أخملنا ذكرا، وألأمنا حسبا، وشرنا قدما، وأقدمنا كفرا ونفاقا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين) (2)

ومن كتـاب لـه معاويـة جـاء فيـه: (وقـد تعجبنـا لتـوثب المتوثـبين علينـا في حقنـا، وسـلطان نبيّنـا ﷺ وإن كـانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمـزا يثلمونـه بـه، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده، فـاليوم فليعجب المتعجب من توثّبـك يـا معاويـة على أمـر لسـت من أهلـه، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قـريش لرسـول اللـه ﷺ، ولكنّ الله خيّبك وستردّ فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقينّ عن قليل ربّك، ثم ليجزينّك بما قدمت يداك، وما الله بظلّام للعبيد) (3)

ومن الصـحابة الـذين روي عنهم مثلمـا روي عن عمـار بن

---

1) شرح نهج البلاغة: 15 / 117)

2) الأصبهاني في مقاتل الطالبيين (1/19)

3) مقاتل الطالبيين (ص: 65)

ياسر الإمام الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، فقد أرسل رسالة إلى معاوية يقول فيها: (..ألست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ظلما وعدوانا، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلظة؟ أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ الذي أبلته العبادة وصفرت لونه وأنحلت جسمه؟! أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، وزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، فتركت سنة رسول الله ﷺ وخالفت أمره متعمدا، وابتعت هواك مكذبا، بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقين فقطع أيدي المسلمين وسمل أعينهم، وصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من الأمة وكأنها ليست منك، وقد قال رسول الله ﷺ: (من ألحق بقوم نسبا ليس لهم فهو ملعون)، أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك ابن سمية أنهم على دين علي، فكتبت إليه: اقتل من كان على دين علي ورأيه، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي دين محمد ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك، والذي انتحالك إياه أجلسك مجلسك هذا، ولولا هو كان أفضل شرفك تجشم الرحلتين في طلب الخمور، وقلت: انظر لنفسك ودينك والأمة واتق شق عصا الألفة وأن ترد الناس إلى الفتنة، فلا أعلم فتنة على الأمة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي وديني أفضل من جهادك، فإن أفعله فهو قربة إلى ربي، وإن أتركه فذنب أستغفر الله منه في كثير من تقصيري، وأسأل الله توفيقي لأرشد أموري؛ وأما كيدك إياي فليس يكون على أحد أضر منه عليك، كفعلك بهؤلاء النفر قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح من غير أن يكونوا قاتلوك ولا نقضوا عهدك، إلا مخافة أمر لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوه، وأماتوا قبل أن يدركوه، فأبشر يا معاوية بالقصاص، وأيقن بالحساب، واعلم أن الله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لك أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة، وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ولا أعلمك إلا خسرت نفسك،

وأوبقت دينك، وأكلت أمانتك، وغششت رعيتك، وتبوأت مقعدك من النار فبعدا للقوم الظالمين)(1)

ومن الصحابة الذين روي عنهم مثلما روي عن عمار بن ياسر عبد الله بن عباس، فمن خطبة له ألقاها في البصرة جاء فيها: (أيها الناس، استعدوا للمسير إلى إمامكم، وانفروا في سبيل الله خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإنكم تقاتلون المحلين القاسطين، الذين لا يقرءون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحق، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله ﷺ، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر والصادع بالحق، والقيم بالهدى، والحاكم بحكم الكتاب، الذى لا يرتشى في الحكم، ولا يداهن الفجار، ولا تأخذه في الله لومة لائم)، فقام الأحنف بن قيس فقال: نعم، والله لنجيبنك، ولنخرجن معك على العسر واليسر، والرضا والكره، نحتسب في ذلك الخير، ونأمل من الله العظيم من الأجر(2).

ومن خطبة له بصفين: (إن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعوانا على علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كل مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام، واعلموا: والله الذي ملك الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ، وعلي يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله. فما معاوية في هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم، فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر، وإنكم لعلى الحق وإن القوم لعلى الباطل) (3)

1) انظر: طبقات ابن سعد (ترجمة الحسين)، والأخبار الطوال للدينوري، وتاريخ دمشق، وتهذيب المزي، ونبلاء الذهبي، والبداية لابن كثير وغيرهم، وأكمل صيغة للرسالة رواها البلاذري في أنساب الأشراف (ج 2 / ص 119)

2) وقعة صفين (ص: 116)

وهكذا كان موقف كبار التابعين الذين أقصتهم الفئة الباغية لوقوفهم مع الإمام علي، ومن بينهم محمد بن أبي بكر ــ ربيب الإمام علي وابن أسماء بنت عميس ــ فمن أقواله في معاوية رسالة مشهورة جاء فيها: (وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله ﷺ الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتؤلبان عليه القبائل، وعلى ذلك مات أبوك، وعليه خلفته، والشهيد عليك من تدني ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق..) (1)

ومنهم محمد بن الحنفية الذي روي عنه قوله: (لما أتاهم – يعني أتى أهل مكة- رسول الله ﷺ من أعلى الوادي ومن أسفله وملأ الأودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعوانا) (2)

ولكن السلفية يضربون كل هؤلاء السلف بأولئك الذين قربهم معاوية، وأدناهم، ووهب لهم من الصلات ما جعلهم يسبحون بحمده حتى أن بعضهم، وهو قتادة قال: (لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي) (3)

ومثله مجاهد الذي يروون عنه قوله: (لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي) (4)

ومثله الزهري الذي يروون عنه قوله: (عمل معاوية بسيرة

---

3) وقعة صفين (ص: 318)

1) مروج الذهب: 1 / 352)

2) وقعة صفين(ص216)

3) السنة؛ للخلال (1/438)

4) السنة؛ للخلال (1/438)

عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً)(1)

ومثله الأعمش الذي ذكر عنده عمر بن عبـدالعزيز وعدلـه فقال: (فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يـا أبـا محمـد يعـني في حلمه؟ قال: لا والله، بل في عدله) (2)

ومثله المعافى الـذي قيـل لـه: معاويـة أفضـل أو عمـر بن عبدالعزيز؟ فقال: (كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمـر بن عبدالعزيز) (3)

فالسلفية يقبلون هـذه الروايـات ويحفظونهـا، وينشـرونها، لكن روايات كبار الصحابة، وكبار التابعين، وكبار أهل بيت النبوة يرمون بها عرض الجدار، ثم يقولون بعـد ذلـك: لسـنا من الفئـة الباغيـة.. وهـل هنـاك بغي أعظم من البغي على كبـار الصـحابة والتــابعين.. وهــل هنــاك بغي أعظم من البغي على أهــل بيت النبوة الذين أمرنا بالتمسك بهم؟

---

1) السنة؛ للخلال (1/444)

2) السنة؛ للخلال (1/437)

3) السنة؛ للخلال (1/435)

هذا الكتاب

يتصور البعض أننا عندما نتحدث عن معاوية نتحدث عن شخصية تاريخية، لا علاقة لها بالواقع، ولا بالدين.. وأن أمرها في الأخير يعود إلى الآخرة التي سنكتشف فيها جلية الأمر وحقيقته.

وهذا وهم كبير، فنحن لا يعنينا أن يكون معاوية مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا، فما أكثر المؤمنين وما أكثر الكفار وما أكثر المنافقين.. ولا يعنينا أن يكون من أهل الجنة أو من أهل النار.. فالله هو رب الجنة والنار.. ولا يضرنا إن دخل في إحداهما أو لم يدخل.

لكن الذي يعنينا هو آثار معاوية في الـدين الـذي نعتقده ونعيشـه.. لأن معاويـة كـان في ذلـك الصـدر الذي أسـس فيـه للعقائـد والفقـه والسـلوك.. وفيـه فسر القرآن..وفيه نقل الحديث.. وفيه أسست نظم الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.